

الْمِتَصُوفَةُ

فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى

فِي عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ وَالْمُوحِدِينَ

١٠٦٢ - ١٢٦٩ هـ / ٤٥٤ - ٦٦٨ هـ

دكتور

حسين السيد عبد القادر

معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

المتصوفة في المغرب الأقصى

في عصرى المرابطين والموحدين

(٤٥٤ - ٦٦٨ هـ / ١٠٦٢ - ١٢٦٩ م)

دكتور
Gene

حسين سيد محمد الله مراد *Piblion*

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

إهداء

إلى زوجتي

وإلى ابني إسلام

وإلى ابنتي منة الله

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى
بهديه وعمل بشريعته إلى يوم الدين .

التصوف كما هو واضح من هذه الدراسة ، ليس انعزالاً عن المجتمع أو
هروباً من الحياة ، إنما هو محاولة لتزكية النفس وتطهير القلب ، ومشاركة إيجابية فى
كل نواحي الحياة وفى كل أحداث العصر . فكان لابد من إلقاء الضوء على هذه
الطبقة الاجتماعية التى سكن أفرادها فى كل جهات المغرب الأقصى ، وانتسبوا إلى
معظم القبائل البربرية والعربية هناك .

فهذا البحث دراسة تاريخية وحضارية لرجال التصوف الذين عاشوا فى
المغرب الأقصى فى عصرى المرابطين والموحدين . دراسة تهدف فى محاولة متواضعة
للتعرف على منهج أولئك القوم فى الحياة وسلوكهم السياسى والاجتماعى
والاقتصادى والدينى والثقافى ، ومدى موافقة هذا السلوك للشريعة . دراسة كان
لا بد منها لأن هؤلاء المتصوفة لم يحظوا بدراسة شاملة من قبل فيما عدا بعض
الدراسات التى اهتمت ببعض أعلام التصوف ، مثل دراسة Alfred Bel عن أبى
مدين وشيخه الدقاق فى فاس ، والتى نشرت فى الكتاب التذكارى تكريماً
للمستشرق R . B asset .

وقد بدأت هذه الدراسة بتمهيد أوضحت فيه اشتقاق كلمة تصوف
ومعناها ، ثم أفردت الفصل الأول "للعوامل انتشار التصوف فى المغرب الأقصى"
وأوضحت الأثر المشرقى ثم العوامل الداخلية التى ساعدت على انتشار التصوف .
أما الفصل الثانى فبعنوان "المتصوفة والحياة السياسية ودورهم الجهادى فى
الأندلس ضد الأسبان" وقد أوضحت فيه علاقتهم بالسلطة السياسية وعزوفهم عن

المشاركة فى تولى الوظائف الدينية، وأخيرا تعرضت لدورهم الجهادى فى الأندلس بالمشاركة فى غزوتى الأرك والعقاب .

والفصل الثالث بعنوان "التصوفة والمجتمع" وقد تناولت فيه توزيع المتصوفة جغرافيا وقبليا فى المغرب الأقصى، والطبقات التى سلكت التصوف، والنساء والتصوف، والدور الاجتماعى للمتصوفة ، وأخيرا المتصوفة والقيم الاجتماعية.

وعرضت فى الفصل الرابع "النشاط الاقتصادى للمتصوفة" وتناولت فيه موقفهم من العمل، ومشاركتهم الإيجابية فى أوجه النشاط الاقتصادى داخل المجتمع. أما **الفصل الخامس** فيعنوان " المتصوفة والحياة الدينية والثقافية" وقد أوضحت فيه دورهم الدينى داخل المجتمع وخاصة فى بناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها، وأوضحت أيضا تعدد جهودهم الدينية، ثم تناولت دورهم الثقافى والتعليمى داخل المجتمع .

وأخيرا أوضحت فى الخاتمة نتائج تلك الدراسة .

وبعد فإنه أجد لزاما على أن اعترف بالفضل لأساتذتى الكرام الأستاذ الدكتور / رجب محمد عبد الحليم أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية . والأستاذ الدكتور/ حسن على حسن أستاذ التاريخ الإسلامى ووكيل كلية دار العلوم على ما قدماء لى من نصح وإرشاد كان له أثره الواضح فى هذه الدراسة .

وبعد أن أنهيت هذه الدراسة لأدعى أنى وفيت الموضوع حقه. لكن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل خالصا لوجه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير .

د. حسين سيد عبد الله مراد

القاهرة فى ٢٧ / ١٢ / ١٩٩٤م

تمهيد

اشتقاق كلمة تصوف ومعناها .

تعريف التصوف .

اشتقاق كلمة تصوف ومعناها :

هناك إجماع من الكتاب على أن كلمة التصوف من الكلمات الاصطلاحية، التي طرأت في أواخر القرن الثاني الهجري. وكان السبب في ظهورها ووضوح مدلولها، أن طائفة من خواص المسلمين تجردوا لعبادة الله سبحانه وتعالى والزهد في الدنيا التي تنافس الناس في الحصول عليها وإيثارها على الآخرة وأعمالها الصالحة. فهذه الطائفة فرغت لما رأت من ذلك التحول عن الدين والانسلاخ عما كان عليه صحابة خير العالمين، من مراقبة الله سبحانه وتعالى وعدم الغفلة عن ذكره وإيثارهم لجوانب الخير^(١) .

وكلمة تصوف كلمة محدثة لم تعرف إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، وكانت طريقة هؤلاء القوم في التصوف معروفة عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم . وتستهدف العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف^(٢) .

ومن الصعب تحديد أصل لفظ تصوف وصوفية والبحث عن هذا الأصل الذي نشأ عنه هذا المصطلح أو ذاك لتضارب في الآراء وتناقض في هذا الموضوع.

(١) ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة السادسة، دار القلم بيروت ١٩٨٦ ، ص ٤٦٧ .
الكلايادى : التعرف لمنهج أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوى، الطبعة الثالثة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٥ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ٤٦٧ .

وباستعراض الآراء التي قيلت لتفسير أصل كلمة تصوف، لا بد من استبعاد
الرأى القائل بأن أول شخص وقف بنفسه لخدمة الله عز وجل ، وكان يجاور
الكعبة اسمه صوفة. وكان اسمه الحقيقي غوث بن مرة ، والزهاد الذين كانوا
يشبهونه من حيث الانقطاع عما سوى الله سموا بالصوفية (٣). ولا عبرة لهذا
الرأى الذى يقول بأن الكلمة كان لها وجود قبل الإسلام (٤). لأن التصوف ارتبط
بالإسلام والحياة الإسلامية.

وهناك العديد من الآراء لتفسير أصل هذه الكلمة، هذه الآراء تجوز من
ناحية المعنى، لكنها لا تجوز من ناحية الاشتقاق اللغوى. فالرأى القائل أنها من
الصفاء فإنه يجوز من ناحية المعنى، لا نظوائه على معنى الصفاء الذى يتهياً لقلب
الصوفى، ولا يجوز من ناحية اللغة لأن النسبة إلى الصفاء "صفائى" (٥) .

أما الرأى القائل بأنها نسبة إلى أهل الصفة، وهى مكان كان ينزله بعض
فقراء المسلمين فى مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فإن هذا
الرأى وإن جاز من ناحية المعنى لما فى حياة أهل الصفة وحياة الصوفية من تشابه
فى الإقبال على الله والانقطاع للعبادة، إلا أنه لا يجوز من ناحية اللغة لأن النسبة
إلى الصفة "صفتى" لا صوفى (٦) .

(٣) السهروردى : عولوف المعارف ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٦٠ .

(٤) Nicholson, R : Art Sufis, in Encyclopedia of Religion and Ethics .

(٥) القشيري : الرسالة القشيرية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٢٦ .

السهروردى : مصدر سابق ، ص ٦٢ .

(٦) القشيري : مصدر سابق، ص ١٢٦ .

السهروردى : مصدر سابق، ص ٦٠ ، ٦٢ .

أما رأى من قال إنها من الصفة، وذلك لا تصاف الصوفية بالصفات الحميدة وابتعادهم عن الصفات الذميمة، فإنه وإن صح من ناحية المعنى لا يصح من ناحية الاشتقاق اللغوى، لأن النسبة إلى الصفة "صفتى" لا صوفى(٧).

وأما من قال أنها نسبت إلى الصوفانة أو الصوفان وهى بقله تنبت فى الصحراء خيفة ضعيفة قليلة الغذاء ، فهذا رأى وإن جاز من ناحية المعنى للتشابه بين حال الصوفية والصوفانة فى الاقتصاد فى الغذاء ، فإنه لا يجوز من ناحية اللغة لأن النسبة إلى الصوفانة " صوفانى " لا صوفى(٨) .

وهناك رأى يجوز من ناحية المعنى واللغة ، يرى أصحابه أنها نسبة إلى الصوف ، أى أنهم سمو صوفية لأنهم اختاروا لبس الصوف ، إذ كان لباس الأنبياء عليهم السلام، وكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا. وهذا رأى صحيح من حيث الاشتقاق اللغوى ، لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف(٩) لكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف(١٠). ويجدر الإشارة إلى أن بعض متصوفة المغرب الأقصى، لم يلبس الصوف فقد كان أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوى المتوفى عام ٥٧١هـ / ١١٧٥م يلبس الثياب البيضاء الحسنة ويعتنى بمظهره لأنه كان يقول : " إن الله لا يعبد بالسراويل بل يعبد بالقلب"(١١) .

(٧) جميل محمد أبو العلا: التصوف الإسلامى نشأته وأطواره، القاهرة ١٩٨٣، ص ٦.

(٨) ما سينيون: الإسلام والتصوف، مطبعة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٤.

(٩) السهروردى : مصلر سابق ، ص ٦٠ .

(١٠) القشبرى : مصلر سابق ، ص ١٢٦ .

(١١) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتي، تحقيق أحمد

التوفيق، الرباط ١٩٨٤ ، ص ٢٢٢ .

وأخيرا يقول القشيري أن كلمة تصوف لفظ جامد غير مشتق، فليس له قياس أو اشتقاق في اللغة العربية. فهي كاللقب فيقال للرجل صوفى وللجماعة صوفية^(١٢). هذا الرأي وإن كان يؤخذ عليه أن اللقب لا يطلق من فراغ أو جزافا وإنما يطلق لصفة بارزة في القوم أو لعادة اشتهروا بها ، إلا أنه لا ينقص من قيمته ووجاهته. وما الذي يمنع أن يكون القوم قد اشتهروا بصفة أو أكثر من الصفات المتقدمة أو اشتهروا بلبس الصوف فاطلق اللقب عليهم لشهرتهم بلبسه، وشاع وذاع اللقب لتوافقه مع تلك الصفة^(١٣).

تعريف التصوف :

امتاز التصوف الإسلامى عن غيره من العلوم والفنون بكثرة تعاريفه واختلافها وتنوعها . ومرجع ذلك إلى أمرين، الأول : إختلاف أذواق ومشارب الصوفية وخاصة عند من تناولوا التصوف بالشرح والتعريف . والثانى : إختلاف المراحل التى مر بها التصوف والصوفية على حد سواء وإختلاف بيئاتهم^(١٤) .

ويذكر الطوسى عدة تعريفات لكبار المتصوفة فيقول "إن التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة"^(١٥) . "وهو أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام"^(١٦). وهو أيضا "الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من

(١٢) الرسالة القشيرية ، ص ١٢٦ .

(١٣) جميل عماد أبو العلا : مرجع سابق ، ص ٨ .

(١٤) للمرجع السابق ، ص ١٥ .

(١٥) اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، القاهرة ١٩٦٠ ،

ص ٤٥ .

(١٦) للصدر السابق والصفحة .

كل خلق دنيء" (١٧). فالتصوف إذن فى أساسه خلق وهو بهذا الاعتبار روح الإسلام ، لأن أحكام الإسلام كلها مردودة إلى أساس أخلاقي (١٨) .

كما يذكر الكلاباذى عددا من التعريفات فينقل عن التسوى أنه "صفاء من الكدر وامتلاء من الفكر، وانقطاع إلى الله من البشر" (١٩).

وأخيرا التعريف الجامع للتصوف، من بين تعاريف الصوفية التى لا تخصى قول الجنيد عنه : " تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإحصاد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة" (٢٠).

من هذه التعريفات يمكن القول أن التصوف بوجه عام أسلوب حياة يتخذه الإنسان للقرب من الله ، لتحقيق كماله الأخلاقي، وطريقا لسعادته الروحية . وقد أخذ بهذا الأسلوب الكثير من سكان المغرب الأقصى، لذلك كان لزاما علينا أن نتحدث عن عوامل انتشار التصوف فى المغرب الأقصى .

(١٧) المصدر السابق والصفحة .

(١٨) التفتازانى : المدخل إلى التصوف الإسلامى، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ١٩٨٣،

ص ١٢.

(١٩) التعرف لمنهج أهل التصوف ، ص ٣٣.

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

الفصل الأول

عوامل انتشار التصوف في المغرب الأقصى

أولا : العامل الخارجي " التأثير المشرقي "

ثانيا : العوامل الداخلية

التصوف في بلاد المغرب الأقصى وزواره

كان للتأثير المشرقي أكبر الأثر في ازدهار التصوف، وازدياد أعداد المتصوفة في بلاد المغرب الأقصى. وقد صادف التأثير المشرقي أرضا خصبة، إذ ساعدت عدة عوامل داخلية على تحقيق هذا النجاح الهائل الذي صادفه التصوف في المغرب الأقصى.

أولا : العامل الخارجي (التأثير المشرقي) :

ظهرت الحركات الدينية في المشرق الإسلامي منذ صدر الإسلام وقد وجدت لها اصداء في الشمال الإفريقي، شاهدنا ذلك في ظهور مذهب الخوارج الذي انتشر في بلاد المغرب من أدناها إلى أقصاها . وكذلك الدعوة العلوية التي قامت على أساسها دولة الأدارسة في فاس ، والمذهب الشيعي الذي قامت على أساسه الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وكذلك ظهور النزعة العقلية للمعتزلة والأشاعرة التي اتجه إليها الموحدون . لذلك كان الأمر سيبدو غريبا لو لم ينجح التصوف المشرقي في النفاذ إلى بلاد المغرب الأقصى خاصة ويتغلغل فيه^(١). فالتصوف المغربي وفد من المشرق^(٢) ، وطبع الحياة الدينية بطابع خاص أساسه الزهد والتقشف في الحياة الدنيا .

ويتضح التأثير المشرقي في وجود بعض مؤلفات كبار متصوفيه في المغرب الأقصى، وقيام المتصوفة المغاربة بدراستها شيوخا ومريدين . بل

Bel : La Religion Musulmane en Berberie, Paris 1938, Tome 1, P 343 (١)

(٢) جورج مارسية : بلاد المغرب الإسلامي وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور

الوسطى، ترجمه عمود عبد الله هيكل ، مراجعة مصطفى ضيف، منشأة المعارف ، الإسكندرية

وصل التأثير المشرقي أيضا عن طريق رحيل عدد من متصوفة المغرب إلى المشرق، لأخذ العلم الصوفى والطريقة الصوفية على يد شيوخه من المشاركة. بالإضافة إلى ذلك فقد رحل بعض صوفية المشرق إلى المغرب الأقصى لزيارة أخوانهم هناك .

لقد ذاعت كتب بعض صوفية المشرق بين يدي صوفية المغرب الأقصى، واطلعوا عليها وتأثروا بها . وقد ساعدت تلك الكتابات فى نقل صلحاء المغرب الأقصى إلى مرحلة التصوف . ومن أهم المؤلفات الصوفية التى وجدت فى المغرب الأقصى كتاب " الرعاية لحقوق الله والقيام بها " للمحاسبي^(٣). إذ أن أبا محمد عبد العزيز التونسي الذى استقر بمدينة أغمات^(٤) وبها توفى عام ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م، قد أمر تلاميذه بالنظر فى كتب علوم التصوف، وخصوصاً كتاب الرعاية للمحاسبي^(٥).

(٣) المحاسبي هو أبو عبد الله الحارث بن أسد البصرى الأصل (١٦٥ - ٢٤٣هـ / ٧٨١ - ٨٥٧م) نشأ بالبصرة ثم ارتحل إلى بغداد ودرس بها الفقه الشافعى والنحو هو مؤسس مدرسة بغداد الصوفية انظر: ابن علكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨، ج٢، ص ٥٧، ٥٨ .

Massignon : Art Al muhsibi , in Encyclopedia of Islam.

(٤) مدينة أغمات تقع أسفل جبل درن من شماله وهى حاضرة المغرب قبل بناء مراكش وهى مدينتان إحدهما أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة . انظر : الحميرى : الروض المعطار فى بحر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٠، ص ٤٦ .

(٥) النادل : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٩٢، ٩٣ .

العباس بن إبراهيم : الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام ، الرباط ، ج١،

كما قام أحد شيوخ التصوف بتلريس هذا الكتاب لمريديه نظرا لقيمته في هذا العلم فقد تلقى هذا الكتاب أبو مدين شعيب بن حسين الأنصارى المتوفى عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م سماعا على يد الصوفى أبى الحسن بن حرزهم^(٦).

وكان تأثير المحاسبي - من خلال كتابه - كبيرا على صوفية المغرب الأقصى ؛ إذ وضع أسس التصوف الصحيح وقواعده وشروطه ، حتى أصبح علما يعتد به في الفكر الإسلامى ، لأنه قام على الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين حتى أصبح تصوفه بعيداً عن الاختلاط بالآراء الفلسفية اليعيدة عن روح الإسلام^(٧). والموضوع الأساسى للكتاب هو كيفية رعاية حقوق الله عز وجل والقيام بها . فيبرز معالم الطريق الصوفى ويحدد عناصره ، وطريقة تأديب المريدين^(٨) ، وتطهير النفس ووضع قواعد الحياة الأخلاقية الكاملة^(٩).

(٦) الصومعى : للعزى في أخبار ومناقب سيدى أبى يعزى ، مخطوطة بدار الكتب
الرمز تاريخ تيمور ١٢٤٩ ، ميكرو فيلم ٣٧٧٠٣٢ ، ورقة ٧٠ .

- التادلى : مصدر سلبق ، ص ٣٢٢ .

- ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير ، نشر محمد الفاسى وأدولف فور ، الرباط
١٩٦٥ ، ص ١٤ .

- المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت
١٩٦٨ ، ج ٧ ، ص ١٣٧ .

- السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ ، ج ٢ ،
ص ١٨٩ .

(٧) انظر مقدمة محققى كتاب الرعاية للمحاسبي ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٨) المرجع السابق .

(٩) محمد جلال شرف : خصائص الحياة الروحية فى مدرسة بغداد ، دار الفكر

الجامعى ، الاسكندرية ١٩٧٧ ، ص ٢٢٤ .

لقد وضع المحاسبى قاعدة الحياة التى ينبغى اتباعها . وتقوم على أساس محاسبة الصوفى لنفسه . وقد جاء لقبه المحاسبى من أنه كان شديد المحاسبة لنفسه (١٠) . ولذلك كان تأثيره على جمهور الصوفية المغاربة ، من حيث محاسبتهم لأنفسهم عميق ، واستمر هذا التأثير طويلا يتضح ذلك من استعراض بعض تراجم متصوفة المغرب الأقصى التى وردت فى كتب التراجم والطبقات فى الفترة الزمنية للبحث .

ويقول أبو مدين : بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة (١١) . وأبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى المتوفى عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م الذى كان معلما وتصدق بجميع ما اكتسبه فى وقت التعليم ، خوفا أن لا يكون قد وفى بما عليه من الحقوق (١٢) ، فهو قد حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله . وأبو عبد الله محمد البردعى الأسود السجلماسى الذى كان يحاسب نفسه لشدة خوفه من الله (١٣) . وأبو زكريا يحيى بن صالح المسكورى الذى كان محاسبا لنفسه أيضا كثير البكاء والخوف من الله (١٤) . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجى

Massignom: Art Muhasibi, in Ency of Islam

(١٠)

- جورج قنوتى : التصوف ، مقال فى كتاب تراث الإسلام ، سلسلة عالم المعرفة العدد ١١ ، القسم الثانى ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(١١) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ١٩ .

(١٢) الصومعى : المعزى فى أخبار ومناقب أبى يعزى ، مخطوطة ، ورقة ١١ .

التادلى : مصدر سابق ، ص ١٨٧ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٩٦ .

(١٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٧٨ .

(١٤) للمصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

المراكشي المتوفى عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م الذى تاب ودخل فى طريق التصوف فكان نادما على ما فاتته وكان كثير المحاسبة لنفسه كثير الحزن والبكاء^(١٥). وأبو زكريا يحيى بن يسوئال الصنهاجى الذى كان مائلا إلى التشدد على نفسه محاسبا لها خوفا من الله^(١٦) وهناك الكثير من المتصوفة المغاربة الذين ساروا على هذا النهج فى محاسبة أنفسهم^(١٧).

ومن مؤلفات كبار صوفية المشرق التى وجدت بين يدي صوفية المغرب الأقصى، واثرت فى تصوفهم الوليد مؤلف أبى طالب المكي^(١٨) بعنوان "قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد". وهذا الكتاب من أمهات كتب التصوف الإسلامى والتعليم الصوفى، التى لا يستغنى عنها فى تربية المريدين وتثقيفهم ثقافة إسلامية^(١٩).

لذلك كان الشيخ الصوفى أبو إبراهيم إسماعيل بن وهب الجرجاسى - وهو من أهل أدار^(٢٠) من بلد جرجاسة وبهامات عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م - يقوم

(١٥) المصدر السابق، ص ٣٧٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج٤، ص ١٥١.

(١٦) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٣٠.

(١٧) المصدر السابق، صفحات ٣٨٠، ٤٢٨، ٤٣٨.

(١٨) أبو طالب المكي هو محمد بن على بن عطية الحارثى واعظ زاهد له مصنفات فى التوحيد أصله من الجبل بين بغداد وواسط وسكن مكة فنسب إليها توفى عام ٣٨٦هـ / ٩٩٦م. انظر ابن خلكان : مصدر سابق، ج٤، ص ٣٠٣.

(١٩) انظر مقدمة تحقيق كتاب قوت القلوب للمحقق د. عبد النعم الحفنى، الطبعة الأولى دار الرشاد، القاهرة ١٩٩١، ص ٥١.

(٢٠) أدار اسم شائع من أسماء الأماكن والمقصود به بلد متوكة اليوم حوالى أربعة أميال بالنسبة للقادم من جهة مراكش. انظر : هامش رقم ٥٩ فى كتاب التشوف، ص ٣٤٣.

بقراءة هذا الكتاب لمريديه^(٢١). لأن المكي قد وضع أسس المنهج الصوفي وشروطه، وقواعد تنظيم حياة السالكين والمريدين الذين يتتبعون إلى التصوف ، كما أنه حدد لهم مايكلفون به من واجبات وأعمال تعينهم على مجاهدة أهوائهم وتهذيب نفوسهم ليكونوا أهلاً لعطاء الله وفضله.

ويهتم المنهج الذى وضعه المكي بالجانب العملى من التصوف، فالطريق الصوفي مجاهدة دائمة للنفس، تهدف إلى تغيير صفاتها المذمومة. ومجاهدة النفس ليس بالأمر الهين، لأن النفس محمولة على مخالفة الأمر مطبوعة على اتباع الهوى^(٢٢).

كل تلك القواعد والأسس التى صاغها المكي فى كتابه، كان لها أكبر الأثر فى التصوف المغربى، فبهذه القواعد والأسس تم تربية المريدين . وبقراءة تراجم متصوفة المغرب الأقصى يتضح لنا مدى تأثيرهم بآراء المكي. فتفيد هذه التراجم فى توضيح حرص هؤلاء المتصوفة على مجاهدة أنفسهم مجاهدة دائمة . والمجاهدة عند المكي هى الجوع والسهر والصمت والخلوة^(٢٣) . وقد سلك العديد من صوفية المغرب الأقصى هذا الطريق من المجاهدة^(٢٤).

ومن مؤلفات متصوفة المشرق التى وصلت إلى المغرب الأقصى، وأثرت فى الحياة الصوفية لمتصوفيه، مؤلفات أبى بكر المطوعى^(٢٥) فى التصوف . وقد حملها إلى المغرب الأقصى المتصوف أبو عبدا لله محمد بن سعدون بن على بن بلال

(٢١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٥٤ .

(٢٢) انظر كتاب المكي : قوت القلوب ، تحقيق د . عبد المنعم الحفنى .

(٢٣) المكي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(٢٤) التادلى : مصدر سابق ، تراجم رقم ١٢ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ،

٧٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٤٥ .

(٢٥) أبو بكر المطوعى هو محمد بن على بن عمر الغازى النيسابورى علم فى مكة فى

الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى . انظر : هامش لحقق كتاب التشوف، ص ٧٤ .

القيروانى - المتوفى عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م - حين سافر إلى مكة وهناك التقى مع أبى بكر المطوعى، فأخذ عنه تأليفه فى التصوف. وغادر مكة عائداً إلى المغرب فاستقر فى أغمات وريكة^(٢٦). وذاعت بذلك تلك المؤلفات ومنها كتاب " من صير ظفر " وكتاب " المقالات فى المقامات " وله رسالة فى التصوف لعلها كتاب المقالات فى المقامات^(٢٧) .

كما يعتبر كتاب " أحياء علوم الدين " لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى^(٢٨) - المتوفى عام ٥٠٥هـ / ١١١١م - من أهم المؤلفات التى شاعت فى المغرب الأقصى، ولقيت رواجاً لدى جماهيره من المتصوفة والصالحين. فمولفه من أعظم مفكرى المسلمين ، فقد كان متمكناً من علوم الدين، والمساهمة الأساسية التى قدمها الغزالى هو أنه استطاع أن يجعل التصوف جزءاً من الدين ومقبولاً لدى علمائه^(٢٩). فهو الذى جعل للتصوف مكانة راسخة لدى أهل السنة^(٣٠) .

(٢٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ٨٣ .

عن أبى عبد الله محمد بن سعدون بن على بن بلال القيروانى انظر : ابن فرحون الدياج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٢، ج٢، ص ١٩٩ .
(٢٧) انظر هامش لمحقق كتاب التشوف ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢٨) أبو حامد الغزالى حجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى، أحد الإعلام تلميذ أمام الحرمين، ولاه نظام الملك التدريس فى مدرسته ببغداد توفى فى بلده طوس وله خمس وخمسون سنة .

انظر : النهى : العبر فى عبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣، ج٤ ، ص ١٠ .

(٢٩) فتاوى : مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

جولد تسيهر : العقيدة والشرعية فى الإسلام، ترجمه محمد يوسف موسى وآخرون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٧٩ .

وليس أدل على ذبوع كتاب الإحياء من أن فقهاء دولة المرابطين خصوصاً قاضى قرطبة أبا عبد الله محمد بن علي بن حمدين، طلبوا من أمير المسلمين على ابن يوسف إحراق هذا الكتاب^(٣١) لأن الغزالي شجب أحوالهم وطريقة عملهم ، فقد كان يدعو إلى المحافظة على أصول الإسلام الأساسية " القرآن الكريم والسنة النبوية" لأن المرابطين تركوا الأصول في الدين، واعتمدوا على دراسة الفروع، واعتبروها أقصى غايات علم الدين بدلا من أن تكون مجرد فرع ثانوى^(٣٢)، ووافقهم على بن يوسف لذلك أرسلت الكتب إلى جميع أنحاء الدولة المرابطية بأمر إحراق الكتاب حيثما وجد، فأخذت نسخ الكتاب ممن كان يكتيبه وأحرقت في كل بلاد المغرب والأندلس عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م^(٣٣) .

ولأهمية هذا الكتاب لمنصوفة المغرب الأقصى - لأن الغزالي لعب دورا كبيرا في التوفيق بين التصوف والإسلام ابتداء من أواخر القرن ٥هـ / ١١م^(٣٤) - فقد عارضوا قرار الإحراق . فالصوفي يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوى والذي استوطن سجلماسة وفاس - والمتوفى عام ٥١٣هـ / ١١١٩ -

(٣١) ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق عمود على مكى، الرباط بدون تاريخ، ص ١٤-١٦ .
مجهول : الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ص ١٠٤ .

Oliver, R: Almorvids and Almohads the Cambridge history of Africa , Cambridge , vol 3 , p338 .

(٣٢) الغزالي: أحياء علوم الدين، القاهرة بدون تاريخ ، ج ١ ص ٤٢ إلى ٤٥ .

(٣٣) ابن القطان : مصدر سابق ، ص ١٤ ، ١٦ .

الونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون ، بيروت ١٩٨١ ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
مجهول : الحلال للموشية ، ص ١٠٤ .

لم يلتزم بما أفتى به فقهاء المرابطين وانتصر لأبي حامد ، وكتب إلى السلطان في ذلك (٣٥) كما أن ابن حزم قال : "عندما وصل إلى فاس كتاب أمير المسلمين على بن يوسف بالتحريح على كتاب الأحياء وأن يحلف الناس بالإيمان أن الأحياء ليس عندهم . ذهبت إلى أبي الفضل النحوي استفتيته في تلك الإيمان فأفتى بأنها لا تلزم" بل يذكر ابن حزم أيضاً أن ابن النحوي كانت عنده أسفار كتاب الأحياء وسمعه يقول : هذه الأسفار من كتاب الأحياء وددت أني لم أنظر عمرى سواها (٣٦) بل قام بنسخ كتاب الأحياء في ثلاثين جزء (٣٧).

وقد تعلق صوفية المغرب الأقصى بهذا الكتاب لأنه موافق للكتاب والسنة (٣٨) لذلك اعتكف الصوفى على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حزم - من أهل فاس والتوفى عام ٥٥٩هـ / ١١٦٣م - على قراءته في بيته

(٣٥) التادلي : مصدر سابق ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

أحمد بابا التنيكي : نيل الانتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، الطبعة الأولى ، طرابلس ١٩٨٩ ، ص ٦٢٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
ابن القاضي : حنوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس ، الرباط ١٩٧٧ ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ .

(٣٦) التادلي : مصدر سابق ، ص ٩٦ . أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٢٤ .

ابن القاضي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ . السلاوى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٣٧) التادلي : مصدر سابق ، ص ٩٦ .

أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٢٤ .

(٣٨) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٦٩ .

ابن فنفة : مصدر سابق ، ص ١٣ .

ابن القاضي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

السلاوى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

مدة عام (٣٩) ويحتمل أن يكون على بن إسماعيل بن حرزهم قد قرأ هذا الكتاب على يد عمه صالح بن محمد بن حرزهم الذى رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقى أبا حامد الغزالي (٤٠) ومن المتصوفة الذين تعلقوا بهذا الكتاب أبو مدين الذى قال: " نظرت فى كتب التصوف فما رأيت مثل الإحياء للغزالي " (٤١) لذلك لم يكن غريبا أن يكون لكتاب الإحياء سوقا رائجة فى أسواق الكتب بالمغرب الأقصى (٤٢). على أية حال كان كتاب الإحياء من أهم كتب صوفية المشرق التى أثرت فى صوفية المغرب الأقصى فاستعملوا ما فيه من الأذكار والأدعية والأوراد (٤٣).

كما ذاع بين صوفية المغرب الأقصى " كتاب الرسالة القشيرية فى التصوف " لأبى القاسم القشيري (٤٤) يؤكد ذلك أن أبا مدين كانت له

(٣٩) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

ابن القاضى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

السلوى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٤٠) ابن القاضى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٤١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢١٤ .

الغزوينى : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل

نويهض ، بيروت بلون تاريخ ، ص ٢٣ .

المقرئ : مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ١٣٧ .

(٤٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٧٩ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

(٤٤) القشيري هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى شيخ

حراسان فى عصره زهداً وعلماً بالدين ولد سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م وتوفى عام ٤٦٥هـ /

مجالس للوعظ يعلم فيها، فتخرج على يديه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال^(٤٥) وكان يتناول في مجالسه رسالة القشيري في التصوف^(٤٦) .

وهو كتاب ألفه الإمام القشيري كما يقول في مقدمة كتابه " إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام في سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م " وقد ألفها حينما رأى في صوفية عصره أنواعا من الانحراف عن خط التصوف الصادق، ألفها لتكون مقياسا صحيحا لمن أراد أن يسير على الطريق المستقيم^(٤٧). والواقع أن التوفيق قد صاحب القشيري في المنهج وفي الموضوع^(٤٨).

لقد تحدث عن عقائد الصوفية، وبين أنها موافقة للكتاب والسنة كما تحدث عن آداب المريد وصفات الشيخ ومسائل تهتم دارس التصوف وكل سالكي الطريق الصوفي^(٤٩). إنه كتاب لا غنى عنه للمتصوفة^(٥٠).

(٤٥) ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة ابن شنب، الجزائر ١٩٠٨، ص ١٠٨. المقرئ : مصدر سابق، ج ٧، ص ١٣٧.

(٤٦) الغبريني : مصدر سابق، ص ٢٦.

ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ١٧.

(٤٧) القشيري : الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود وآخرون، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٦، ج ١، ص ١٨.

عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث، دار المعارف، القاهرة بدون تاريخ، ص ٣٨، ٣٩.

(٤٨) المرجع السابق والصفحة .

(٤٩) انظر رسالة القشيري في التصوف.

(٥٠) عبد الحليم محمود : مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩.

كما تأثر متصوفة المغرب الأقصى بالتصوف المشرقي ، عن طريق رحيل عدد منهم للمشرق للاطلاع على مؤلفات التصوف، والالتقاء بصوفيته. فرحل أبو محمد عبد الجليل بن ويحelan الدكالي - نزير أغمات وبها توفي عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م - إلى المشرق وأخذ الطريقة على حقيقتها. فلقى به شيخا من الصوفية فآخذ عنه علم التصوف شيخا عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم^(٥١). كما أن من شيوخه المشاركة أبو الفضل الجوهري^(٥٢)، والأخير شيخه والده بشر، وبشر شيخه السري السقطي^(٥٣)، والأخير شيخه الكرعي^(٥٤).

كما رحل عدد من متصوفة المغرب الأقصى إلى مدينة مكة منهم أبو محمد عبد الله بن موسى الجزولي من سحلماسة وبها توفي عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م^(٥٥)،

(٥١) الصومعي : للزري في مناقب أبي يعزى ، مخطوطة ، ورقة ٩ .

التادلي : مصدر سابق ، ص ١٤٦ .

العباس بن إبراهيم : الإعلام ، ج ٨ ، ص ٢٩ .

(٥٢) أبو الفضل الجوهري هو عبد الله بن بشر كان إمام وقته علما وعملا وحالا .

انظر : الصومعي : للزري ، مخطوطة ، ورقة ١٦ .

(٥٣) السري السقطي هو أبو الحسن خال الجنيد وأستاذه بغدادى المولد والوفاة أخذ

عن الكرعي انظر : القشيري : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٥٤) الكرعي : هو أبو عفاظ معروف بن فيروز الكرعي كان ناسكا متصوفا توفي

في بغداد سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م . انظر :

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

(٥٥) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٧٧ .

وأبو عمران موسى الصاريوى الذى جاور بمكة (٥٦). واطلعوا على بعض مؤلفات صوفية المشرق أمثال مؤلفات أبى بكر المطوعى فى التصوف التى كانت موجودة فى مكة التى عاش بها (٥٧) .

وهناك من متصوفة المغرب الأقصى من رحل إلى المشرق، لكن لم نتحدد لنا المصادر الوجهة التى اتجهوا إليها واستقروا فيها هناك. منهم الصوفى أبو عمدة يرزجان بن محمد الجزولى (٥٨) ، وأبو عبد الله محمد اليربوعي الأسود السجلماسى (٥٩) على أية حال سواء اتجهوا إلى بلاد الحجاز أو الشام أو العراق أو أقاموا فى مصر فقد اطلعوا على مؤلفات صوفية المشرق التى ذاعت شهرتها مثل الرعاية لحقوق الله، وقوت القلوب والاحياء وغيرها من المؤلفات.

ولم يقتصر الأمر على سفر صوفية المغرب إلى المشرق بل حدث العكس، إذا أدت العلاقات الوثيقة التى ربطت بين المتصوفة المغاربة وإخوانهم من المشارقة إلى قيام الآخرين بزيارة متصوفة المغرب الأقصى. فيذكر لنا التادلى أن طائفة من متصوفة المشرق وصلوا إلى بلد أزموور (٦٠) لزيارة أبى عبد الله بن أبى أمغار وأبى شعيب وأبى عيسى وزجيح بن ولون الصنهاجى فوجدوهم قد ماتوا (٦١) .

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٢٨٨

(٥٧) المصدر السابق ، ص ٨٣.

(٥٨) المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢٧٨.

(٦٠) أزموور مدينة قديمة على شاطئ المحيط الاطلنطى عند مصب وادى أم الربيع

انظر: مارمول: أفريقيا، ترجمه محمدحى وآخرون، الرباط ٨٨، ١٩٨٩، ج ٢ ، ص ٨٧.

(٦١) التشرف إلى رجال التصوف، ص ١٨٥.

ويتضح التأثير المشرقي في انتقال طريقة الملامية في التصوف إلى المغرب الأقصى، وتمسك بعض صوفيته بها - وهى طريقة صوفية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بمدينة نيسابور^(٦٢). كما توجد طوائف منهم فى خراسان، والعراق^(٦٣) - يؤكد ذلك أن الصوفى أبا الحسن على ابن اسماعيل بن محمد بن حرزهم الفاسى المتوفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٣م كان سالكا فى التصوف سبيل أهل الملامية^(٦٤) .

ويقوم تصوف هذه الطائفة على أساس أن يخفوا أمرهم على الناس فى العبادة وفى الإقبال على الله، ويرون أن الإخلاص يتوافر بذلك فى صورة أكمل. أى أن الملامى تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله، والإخلاص عندهم هو كتم الأحوال والأعمال حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته^(٦٥) .

وإذا كان الملامى يعمل فى كتم العبادات، فإنه يتمسك بكل أبواب السر والخرير ويرى الفضل فيه ، كما أنه يوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه وحركاته وأموره سزا للحال لئلا يقطن له الناس .

(٦٢) عبد القادر عمود : الفلسفة الصوفية فى الإسلام، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤١١ .

(٦٣) السهروردى : مصدر سابق ، ص ٧٤ .

(٦٤) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٦٩ .

(٦٥) أبى عربى : الفتوحات للكية، ح ١١، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

السهروردى : مصدر سابق ، ص ٧٢ .

عبد الحليم عمود : أبو مدين الفتوح، ص ٣٢ .

والبقاعدة التي ابتنى عليها التصوف الملامتى إذلال النفس وتذليلها وتخفيفها، وحرمانها من كل ما ينسب إليها من علم وعمل أحوال أو عبادة ليس هذا فقط بل ونسبة الشر لها كمصدر ثابت (٦٦).

على أية حال فإن التصوف الذى ولد وترعرع فى المشرق شأنه شأن جميع الفرق والمذاهب الدينية، قد نفذ إلى المغرب الأقصى وأثر فى دفع حركة التصوف فى المجتمع خاصة فى عصرى المرابطين والموحدين. ساهم فى ذلك أن أرضه كانت أكثر موثاء من غيرها وكانت ميدانا خصبا لانتشاره ويرجع ذلك إلى عدة عوامل داخلية .

ثانيا : العوامل الداخلية :

وتتعدد العوامل الداخلية التى أثرت فى نشأة وازدهار التصوف فى بلاد المغرب الأقصى .

العامل الأول : الطبيعة الدينية للثلاثين المرابطية والموحدية: فقد قامت الدولة المرابطية على اسس دعوة دينية هى إصلاح الإسلام السنى وإقامة ما يفترضه الإسلام من الفرائض والسنن والأحكام التى أهملت (٦٧) ومن أجل إقرار المذهب السنى قامت الدولة المرابطية منذ قيامها بمحاولة القضاء على المذاهب الخارجية

(٦٦) عبد القادر محمود : مرجع سابق ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٦٧) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٨٣ .

ج ٢٤ ، ص ٢٥٣ .

ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، ج ٤ ،

ص ٧ إلى ١٠ .

مجهول : الحلال الموشية ، ص ٦٦ .

والمنحرفة . فحاربوا قبائل برغواطة (٦٨) الخارجية الصغرى وأضعفوها (٦٩). كما قضاوا على البدع والمذاهب المنحرفة فى إقليم غمارة (٧٠) و استأصلوا بقايا المذهب الشيعى فى مدينة تارودانت (٧١) والذى استقر بها منذ أيام أبى عبد الله الشيعى (٧٢). وبذلك نجح المرابطون فى تحقيق الوحدة الدينية للمغرب الأقصى وإقرار مذهب مالك.

أما الدعوة للموحدية التى قامت على أساسها الدولة الموحدية، فقد قامت بسبب الجعوم الفكرى الذى سيطر على فقهاء المرابطين الذين لم يهتموا إلا

(٦٨) قبائل برغواطة ليست لأب واحد واصل واحد إنما هم اختلاط من قبائل شتى موطنهم إقليم تامسنا تدين بمذهب برغواطة وهى حراوة وزواغمة ومططرة ومطماطة وغيرهم انظر : حسين سيد عبد الله : قبائل للمصامدة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الموحدين بالمغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩١، ص ٣٤، ٣٥، ٣٦.

(٦٩) عن حروب المرابطين ضد إمارة برغواطة فى تامسنا انظر:

ابن خلدون : العبر، ج ٦، ص ٤٣٤. ابن عذارى : مصدر سابق، ج ٤ ، ص ١٦، ١٧ - ابن أبى زرع : الاتيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق محمد الفيلالى، الرباط ١٩٣٦، ج ٢، ص ٢٤، ٣٢. ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، نشر أحمد مختار العبادى وعبد إبراهيم الكنانى، الدار البيضاء ١٩٦٤ ، ج ٣ ، ص ٢٣١.

Juline : History of North Africa , London 1970 . p 82.

(٧٠) ابن عذارى : مصدر سابق، ج ٤ ، ص ٥٨.

(٧١) تارودانت قرية كبيرة تقع على وادى مامت الذى يجرى فى إقليم السوس الأقصى. انظر الحميرى: مصدر سابق، ص ٣٣٠.

(٧٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣.

إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ١٩٨٤، الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٥٩.

بدراسة كتب الفروع مثل كتاب "الفقه العملى بحسب مذهب الإمام مالك" وأهملوا الاجتهاد المستند إلى الأصول نفسها وهى الكتاب والسنة (٧٢) وحديث بالذكر أن المنبع الذى استمد منه الموحدون هو تعاليم الإمام الغزالي التى تدعو إلى المحافظة على أصول الإسلام الأساسية.

وعلى الرغم من التباين بين الدعوتين المرابطية والموحدية إلا أنهما كان لهما أكبر الأثر فى تعميق الشعور الدينى لدى سكان المغرب الأقصى، وفى بداية ظهور أقطاب التصوف فى عصر المرابطين وزيادة أعدادهم فى عصر الموحدين.

العامل الثانى : السيرة الذاتية لحكام الدولتين المرابطية والموحدية اللتين شجعت على نمو حركة التصوف فى المجتمع ودفعها إلى الأمام. فقد كانوا القدوة لرعاياهم فى الزهد والتقشف وشدة التدين، والعكوف على العبادة. فتخبرنا المصادر بأن الشيخ عبد الله بن ياسين كان فقيها عالما ورعا دينيا (٧٤) ، وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان فاضلا خيرا زاهدا كثير الخوف من الله عز وجل مقبلا على أداء الفرائض والعبادات (٧٥) أما على بن يوسف فكان يعد فى الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد فى الملوك. وبلغ حرصه فى تنفيذ تعاليم الدين أنه كان لا يقطع أمرا ولا بيت فى صغير من الأمور ولا كبير الأنفى حضور أربعة من

(٧٢) المراكشى : للعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان وآخرون، القاهرة ١٩٤٩ ص ١٧٢، ١٧٣.

BEL : OP Cit, Tome I, PP 226-227.

(٧٤) النويرى : نهاية الأرب، ج ٤ ، ص ٢٥.

(٧٥) ابن عذارى : البيان ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

مجهول : الحلال الموشية ، ص ٨١ ، ٨٢.

الفقهاء(٧٦) كما كان كثير الصدقة عظيم البر(٧٧) وهكذا كان يرجع فى حكمه إلى العدل والدين(٧٨).

أما السيرة الذاتية لحكام الموحدين فنجد أن المهدي محمد بن تومرت كان فقيها فاضلا محدثا عارفا باصول الدين والفقه ورعا ناسكا(٧٩) وخليفته عبد المؤمن بن على كان يعظم أمر الدين ويقويه، ويلزم الناس فى سائر بلاده بالصلاة(٨٠) وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين وإليه المرجع والكلام معهم(٨١). كما كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حافظا للقرآن ، كما كان يحفظ أحد الصحيحين إما البخارى أو مسلم(٨٢) ، واشتهر بزهده وورعه وعدله(٨٣). ولم تختلف سيرة يعقوب المنصور عن اسلافه بل تفوق عليهم فى تدينه فقد أظهر الزهد والتقشف وخشونة المآكل والملبس حتى انتشر فى أيامه الصالحون وعظمت مكاتبتهم، وكان يطلبهم ويستدعيهم من أنحاء دولته ويكتب إليهم يسألهم الدعاء ويصل منهم من يقبل صلته بالصلوات الجزيلة(٨٤) .

(٧٦) المراكشى : مصدر سابق ، ص ١٧١.

(٧٧) العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ١٥ ، ١٦.

(٧٨) مجهول : الحلل الموشية ، ص ٨٤.

(٧٩) النويرى : مصدر سابق ، ج ٢٤ ، ص ٢٧٧ .

(٨٠) المصدر السابق والجزء ، ص ٣١٨ .

(٨١) المراكشى: مصدر سابق ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، النويرى: مصدر سابق، ج ٢٤، ص ٣١٨

(٨٢) للمراكشى: مصدر سابق ، ص ٢٣٧.

(٨٣) ابن صاحب الصلاة : للن بالإمامة ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤.

النويرى : مصدر سابق، ج ٢٤ ، ٣٢٧.

(٨٤) المراكشى : مصدر سابق ، ص ٢٣٨ .

النويرى : مصدر سابق ، ج ٢٤ ، ص ٣٢٨ .

العامل الثالث : النزعة العقلية التى اتجه إليها الموحدون فى إدراك الله وصفاته فقد أدت إلى نمو التصوف وازدياد انتشاره فى المغرب الأقصى^(٨٥) .

فاين تومرت تأثر بأراء المعتزلة فى إثبات الصفات^(٨٦)، كما أنه اختلف فى تصويره لوحدة الله المطلقة عن فقهاء المرابطين، وعلى أساس تصويره للتوحيد أقام مذهبه، وبه سمي أتباعه الموحدين، وقد أورد مذهبه فى مؤلفه " أعز ما يطلب "^(٨٧).

العامل الرابع : انتشار الربط^(٨) فى كل أنحاء المغرب الأقصى مما كان له أكبر الأثر فى نمو التصوف. فقد وفرت الربط مكانا للعكوف على العبادة والمجاهدات، ومكانا للتعليم الصوفى، الذى يسعى إليه المريدون السالكون لهذا الطريق. وقد أطلقت كلمة الرباط على أى منشأة دينية وحرية اختص المسلمون بها دون غيرهم . ويتصل نظام الرباط بالجهاد فالرباط والرابطة ملازمة ثغر العدو، فالمستقرون فى الرباط معظمهم من المجاهدين فى سبيل الله^(٨٨) ومن ثم كانت خطة الرباط تتكون من سور حصين يحيط به حجرات للسكن ومخازن للأسلحة والمؤن وبرج للإشارة.

Bel : op cit , PP 342, 343 .

(٨٥)

(٨٦) ابن القطان : نظم الجمان، ص ١١، ١٢ .

حسن أحمد عمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٨٤.

(٨٧) محمد بن تومرت : أعز ما يطلب ، نشر جولد تسهير ، الجزائر ١٩٠٣

ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٨) عن موقع الأربطة فى المغرب الأقصى انظر : الخرائط من شكل ١ إلى شكل ٥ .

(٨٨) دائرة المعارف الإسلامية مادة رباط.

وكانت الشواطئ تجمّع بالرباطات (٨٩) . وكان ثمة رباطات على شاطئ المغرب الأقصى بعضها فى نكور (٩٠) وأرزله . وقد قامت برّدغارات قراصنة الشمال، وبعضها فى سلا (٩١) لتيسر أسباب الغارة على خوارج برغواطية (٩٢) . كما يوجد رباط على ساحل البحر فى وادى ماسين وله مرسى مأمونة، وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتّرك به (٩٣) كما كان موضع مدينة أصيلة رباطا (٩٤) .

لكن مع رسوخ الإسلام فى بلاد المغرب والقضاء على البدع والمذاهب المنحرفة، واختفاء التهديدات الخارجية فى ذلك الحين، اختفت الوظيفة الحربية للربط، فلم تكن هناك حاجة إلى الرباطات كضرورة عسكرية. حدث هذا التطور فى أواخر عهد المرابطين وأصبحت للربط وظيفة دينية فقط، وظلت الأربطة عامرة يقصدها العباد والمتصوفة . أى أن الرباطات أصبحت زوايا أى مقامات للعباد المنقطعين للعبادة والزهد والمجاهدات الصوفية (٩٥) .

هكذا شد متصوفة المغرب الأقصى الرحال إلى الأربطة، سواء أكانت فى المناطق الساحلية، أو المناطق الداخلية . وكما أوضحنا فإن الأربطة الساحلية أصبحت ذات مهمة دينية، وليست حربية فى الفترة الزمنية للدراسة . ومن الأربطة

(٨٩) دائرة المعارف الإسلامية مادة رباط .

(٩٠) البكرى : للمغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، الجزائر ١٨٥٧، ص ٩١.

(٩١) سلا مدينة قديمة فى غربها المحيط الاطلنطى وفى جنوبها النهر وهى متوسطة بين

بلاد المغرب الأقصى كثيرة الرخاء: انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، باريس ١٨٢٠، ١٣٠، ١٣١.

(٩٢) البكرى : مصدر السابق ص ٩٠.

دائرة المعارف الإسلامية مادة رباط.

(٩٣) البكرى : مصدر سابق ، ص ٨٠.

(٩٤) للمصدر السابق ، ص ١١٢.

(٩٥) .

الساحلية التي أقام بها الزهاد والمتصوفة رباط مدينة سلا وكان يقع على ساحل المحيط الأطلسي^(٩٦) وفي مدينة أزموور هناك رباط تيطنقط^(٩٧) وهذا الرباط من أقدم الرباطات بالمغرب الأقصى ووجوده سابق على العهد المرابطي. وهو معروف الموقع إلى اليوم. إذ يقع على بعد بضعة أميال جنوب مدينة الجديدة على شاطئ المحيط^(٩٨) ورباط آخر يسمى رباط أييسين وهو يعنى رباط الخيسل^(٩٩) وفي مدينة أسفى^(١٠٠) ورباطان الأول يسمى رباط تامرنوت وهو يقع قرب البحر بأسفى^(١٠١)، والرباط الثاني يسمى باسم المدينة رباط أسفى^(١٠٢). كما يوجد رباط ساحلي آخر ويقع بالقرب من ساحل أنفا^(١٠٣) يسمى رباط تامنفاط^(١٠٤).

أما الأربطة التي أقيمت في داخل البلاد بعيدا عن السواحل فهي كثيرة ، ومن أهمها رباط شاكر ويقع على ضفة نهر تانسيفت وعمله اليوم قرية تسمى سيدى شيكرة بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط، حيث كان اجتماع صالحى

(٩٦) التادلى : التشوف ، ص ١٥٧.

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٩.

(٩٨) انظر هامش رقم ٤٦٢ لحقق كتاب التشوف ، ص ٢٠٩.

(٩٩) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤١٤.

(١٠٠) أسفى مرسى فى أقصى المغرب وهى آخر مرسى تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية الجنوب ومن مرسى أسفى إلى مرسى ماست مائة وخمسون ميلا .

الحميرى : الروض العطار ، ص ٥٧.

(١٠١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤٣٣.

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٤٣٩.

(١٠٣) ساحل أنفا بقرب وادى أم الربيع كثير الزرع والمواشى والإبل والبقر والغنم.

الحميرى : مصدر سابق ، ص ٣٥.

(١٠٤) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٦٦.

المغرب ولا سيما في شهر رمضان من أجل ختم القرآن . وحيث كانت منابر الوعظ من أجل نشر الإسلام وتثيته في أوساط المصادمة وغيرهم .

كما كان هذا الرباط مقصد للمريدين فسي طلب شيوخ التصوف والصالحين^(١٠٥) ورياط شاكر واحد من رباطات نشأت على هوامش المناطق السهلية التي كانت تحتلها قبائل برغواطة التي وردت الأخبار بأنها كانت تتبع المذهب الخارجي الصفرى لمدة تزيد عن ثلاثة قرون سابقة عن الموحدين . وشاكر هذا من أصحاب عقبة بن نافع^(١٠٦) وإن يعلى بن مصلين الرجاسي هو الذى بنى مسجد رباط شاكر، وكان ذلك فى قرابة نهائة المائة الرابعة من الهجرة . كما كان يقاتل برغواطة لانحرافها، وقد غزاهم مرات عديدة^(١٠٧) .

أما مدينة فاس فقد أقيم فيها رباطان الأول يقع بالقرب من فاس انقطع فيه الصوفية للعبادة^(١٠٨) ، والرابطة الأخرى تسمى رابطة زرهون^(١٠٩) .

كما وجدت عدة أربطة فى مدينة مراكش ، منها رباط تاسماط^(١١٠) ورباط أوجدام فى بلد ركونة من عمالة مراكش^(١١١) ، وأخيرا رباط الغار الذى يقع خارج سور مراكش خارج باب أغمات^(١١٢) . وفى منطقة

(١٠٥) المصدر السابق ، صفحات ٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ .

(١٠٦) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(١٠٧) المصدر السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ١٠٣ ، ص ١٧٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ٣٦٨ .

(١١٠) المصدر السابق ، ص ١٦٤ ، ص ٢٣٥ .

(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ . العباس بن إبراهيم : الإعلام ، ج ٣ ، ص ١٠١ .

(١١٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣١٢ ، ٣٤٣ .

هسكورة (١١٣) هناك رباطان هما رباط حكم (١١٤) ورباط ملولاسن (١١٥). وفى منطقة دكالة (١١٦) يوجد رباط تانوتن ظهر ويعنى بئر الحمام (١١٧). وفى مدينة نفيس (١١٨) هناك رباط عقبة على وادى نفيس (١١٩). أما سجلماسة (١٢٠) فيها رباط أيندور الذى يقع خارج مدينة سجلماسة (١٢١) .

(١١٣) إقليم هسكورة يمتد شمالا على حدود دكالة وفى جنوبه بعض فروع الأطلس الكبير ويمتد غربا إلى نهر آغاي وشرقا إلى وادى العبيد الذى يفصل الإقليم عن إقليم تادلا ووادى أم الربيع ويقع على بعد عشرين فرسعا من جهة الغرب من مدينة مراكش . انظر :

مارمول : أفريقيا ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(١١٤) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٥٢ .

(١١٥) للمصدر السابق ، ص ٣٨٨ .

(١١٦) منطقة دكالة تمتد من الشمال إلى الجنوب أربعة وعشرين فرسعا ومن الشرق إلى الغرب ثلاثون فرسعا يفصل نهرا تسيغت الإقليم عن بلاد حاحه، ونهرام الربيع يفصلها عن تامسنا : انظر الإدريسي : مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤١ .

مارمول : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٠ .

الحسن الوزان: وصف أفريقيا ، ص ١٦١ .

(١١٧) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .

العباس بن إبراهيم : الإعلام ، ج ٣ ص ٢٥٠ .

(١١٨) نفيس مدينة قديمة أزلية تلى السوس الأقصى ولها نهر ينزل من جبل درن .

البكرى : مصدر سابق ، ص ١٦٠ .

(١١٩) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣١٥ ، ص ٤٠١ .

(١٢٠) سجلماسة مدينة بنيت سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م وهى مدينة حولها أرياض كثيرة

وهى على نهريين كثيرة النخل والأعناب وهى أول الصحراء ومنها يدخل إلى بلاد السودان إلى

غانة مسيرة شهرين . البكرى : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، ص ١٤٩ .

(١٢١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤١٢ .

على أية حال فإننا نرى أن الأربطة التي أقيمت في داخل البلاد وبعيدا عن السواحل قد ظهرت أواخر القرن ١٠هـ / ١١م. واقتصر دورها على جهاد النفس ، بحملها على مخالفة الهوى، وتهذيب الأخلاق النفسية(١٢٢)، فأصبح الرباط بيتا للصوفية. كما أن هذه الأربطة لم تقتصر الإقامة بها على رجال التصوف بل إن بعض الأربطة كان بها أماكن لإقامة النساء الذين دخلوا طريق التصوف. فهناك المتصوفة منية بنت ميمون الدكالي التي كانت تقيم في رباط شاكرا(١٢٣). كما كانت أم عصفور تيعزان بنت حسين الهنتقي من أهل رباط ملولاسن بهسكورة(١٢٤).

وعن إقامة الصوفية في الأربطة فقد اختلفت، فمنهم من كان يقيم إقامة دائمة حتى يتوفاه الله وهو مقيم بالرباط(١٢٥)، وهناك من كانت إقامة تصل إلى ستة أشهر(١٢٦)، وهناك من كان يعتكف بالأربطة خلال شهر رمضان(١٢٧) وآخرون كانوا يقيمون في الأربطة ولم تحدد لنا المصادر مدة إقامتهم(١٢٨).

كان الصوفية في الأربطة يقضون وقتهم ما بين الذكر والصلاة والبيكاء من خشية الله(١٢٩). كما كانت منابر الوعظ في الأربطة تعمل على جذب الزائرين

(١٢٢) عن مجاهدة النفس انظر : ابن عربي : الفتوحات المكية ، ج٣ ، ص ٢٠٨.

(١٢٣) التادلي : المصدر السابق ، ص ٣١٦.

(١٢٤) المصدر السابق، ص ٣٨٨.

(١٢٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢، ٢٢٧، ٣١٢، ٣٤٣.

(١٢٦) المصدر السابق ، ص ١٥٧.

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٤١٢.

(١٢٨) المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، ص ٤٣٩.

لها للدخول فى الطريق الصوفى، فقد كان أبو محمد تيلجى بن موسى على سبيل المثال يعظ الناس على منير رباط شاكر (١٣٠) .

وقد أدى هذا الأمر إلى إقبال أعداد كبيرة من أفراد المجتمع على الدخول فى سلك التصوف خصوصا مع وجود الأربطة التى هيات لهم مكانا للانقطاع عن المجتمع، ومراجعة النفس ومحاسبتها. وكما يقول أبو مدين : " من علامات صدق المريـد فراره عن الخلق " (١٣١) .

العامل الخامس : قيام بعض شيوخ التصوف المغربى بوضع مؤلفات فى التصوف، حتى تكون هذه المؤلفات فى متناول إخوانهم فى الطريق وتوضح لهم المبادئ الجوهرية لطريق التصوف. مثلما وضع صوفية المشرق العديد من المؤلفات.

ويعد كتاب " محاسن المجالس " لأبى العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجى المعروف بابن العريف والمتوفى سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م من أهم المؤلفات الصوفية (١٣٢).

لقد وضع ابن العريف فى كتابه منهجا صوفيا، بأن وضع الأسس والقواعد التى تنظم حياة السالكين والمريدين الذين ينتسبون إلى التصوف ويحدد لهم فى

(١٣٠) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(١٣١) ابن عربى : الفتوحات المكية ، ج ٤ ، ص ١٠٥.

(١٣٢) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٢.

الصفدى: الوافى بالوفيات، نشر محمد يوسف نجم، فيسبادن ١٩٧١، ج ٨ ، ص ١٣٣.

حاجى خليفة : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون، استانبول ١٩٤٣، ج ٢ ،

كتابه ما يكلفون به من واجبات وأعمال تعينهم على مجاهدة أهوائهم وتهذيب نفوسهم . ويهتم المنهج الصوفى عند ابن العريف بالجانب العملى من التصوف فهو يقول فى بداية كتابه إن الغرض من هذا المؤلف هو "أن يسهل على المريد صعوبة طريقه ويشيد للمريد دعائم صدقه وتحقيقه ويحمل سامعه على ارتكاب الأشد فى تحرى الأشد" (١٣٣) .

ثم يتناول ابن العريف فى كتابه الأحوال والمقامات (١٣٤) عند الصوفية فيتحدث عن الإرادة ، والتوبة ، والزهد ، والتوكل ، والصبر والحزن ، والخوف ، والرجاء ، والشكر والمحبة ، والشوق ، والأنس (١٣٥) . وأخيرا يوضح ابن العريف ما يعطيه الله سبحانه وتعالى للعبد إذا أطاعه ولزم خدمته وسلك هذه الطريقة، بأن يكون أهلا لعطاءه وفضله (١٣٦) .

كما يعد كتاب "أنس الوحيد ونزهة المريد" للعارف بالله أبى مدين المتوفى عام ٥٩٤هـ / ١١٩٧م من أهم كتب التصوف المغربى وهذا الكتاب موجه إلى المريد السالك لطريق التصوف ينبهه إلى قواعد السلوك التى ينبغى مراعاتها. والكتاب عبارة عن جمل ذات ألفاظ قليلة تتضمن المعانى الكثيرة (١٣٧) وليس بين جملها

(١٣٣) ابن العريف : محاسن المجالس، نشر اسين بلاسيوس ، باريس ١٩٣٣، ص٧.

(١٣٤) سميت الأحوال بهذا الاسم لأن الحال يتحول فهو يأتى وينصرف وليس بدائم.

أما المقام فقدسمى بذلك لأنه يعنى: الاستقرار والدوام والثبات انظر : ياسين رشدى :

التصوف ماله وما عليه ، نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٣، ص١٥٦.

(١٣٥) ابن العريف : مصدر سابق ، ص٩٧.

(١٣٦) المصدر السابق ، ص١٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١.

(١٣٧) انظر : أحمد بن عبد القادر الذى قام بشرح حكم أبى مدين فى شرحه

المسمى: البيان والمزيد المشتمل على معانى التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد ، القاهرة ١٢٩٧هـ .

ارتباط منطقي، كما لم يراع صاحبها تربيها بحسب موضوعاتها. وراعى أبو مدين فى أسلوبه اختيار الكلمات، بحيث تؤثر فى نفس سامعها، وحكم أبو مدين هى خلاصة آرائه فى المتصوف وهى تستوعب مذهب الصوفى بأسره. ويوضح أيضا آداب السلوك العامة التى ينبغى أن يراعيها السالك فى مجاهداته ومقاماته وأحواله (١٣٨).

إن حكم أبى مدين حكم سنه فهو يقول " لا طريق أوصل إلى الجنة إلا من متابعة الرسول فى أحكامه " (١٣٩) . على أية حال فإن هذه الحكم هى ملخص لمذهب الصوفى ودستور للسالكين (١٤٠).

العامل السادس والأخير : هو انتشار الرّف والبذخ فى أواخر عهد الدولة المرابطة، وقد أثرت هذه المظاهر فى مشاعر الشعب الدينية. فالفقهاء حفظوا بالمناصب الرفيعة، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثر لذلك أمواهم واتسعت مكاسبهم وعاشوا فى بذخ وترف (١٤١) . فضلا عن ذلك فإن إهمال الكبار والعامة على السواء لقواعد الدين والسلوك، والشراب علنا كانت كلها من الأمور التى لم يهتم لها المتدينون المسلمون (١٤٢) . ففى عهد على بن يوسف المرابطى يخبرنا المراكشى عن أحوال الدولة قائلا: " ظهرت فى بلاده مناكير كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد ، كما استولت النساء على

(١٣٨) للصدر السابق ص ٣، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٢،

٢٧، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٦٢، ٦٤.

(١٣٩) للصدر السابق ص ٥٨.

(١٤٠) انظر : شرح حكم إلى مدين .

(١٤١) المراكشى : للعجب ، ص ١٧١ .

الأحوال واستتبت إليهن الأمور، وأمير المسلمين يتزايد تغافله وقنع باسم إمرة المسلمين وعكف على العبادة وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال" (١٤٣) أما المناكير التي أشار إليها المراكشي ولاقت رفضا من المتدينين ، فهي أن الخمر كانت تباع علنا في بعض مناطق مراكش، كما انتشرت فيها حوانيت يبيع آلات الطرب واللهو (١٤٤) .

ولم يقتصر الأمر على العاصمة، ففي مدينة فاس انتشرت حوانيت أدوات اللهو من الدفوف والمزامير وغيرها (١٤٥) . وأخيرا لم تراخ قواعد الحجاب الإسلامية بين النساء حتى ولا بين نساء الأسرة الحاكمة ، فأخت الأمير على بن يوسف تسير سافرة على عادة قومها من المثلثين في زى نسائهم (١٤٦) .

هكذا انتشر التصوف الوافد من المشرق في بلاد المغرب الأقصى ، وبدأ المتصوفة المغاربة يلعبون دورا في حياة المجتمع ، وهو ما سنفصله في صفحات البحث التالية .

(١٤٣) المعجب ، ص ١٧٧ .

(١٤٤) ابن أبي زرع : الأتيس المطرب ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(١٤٥) البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحديين ، نشر ليفي بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٦٥ .

(١٤٦) العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوطة بالمهينة المصرية للكتاب ، رقم ١٥٨٤ تاريخ ، ج ٢٠ ، ق ٤ ، ورقة ٧٧٤ .

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٤٩ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٦ ، ج ١٠ ، ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

التويري : مصدر سابق ، ج ٢٤ ، ص ٢٧٩ .

الفصل الثانى

المتصوفة والحياة السياسية

ودورهم فى الجهاد ضد الأسيان

١ - المتصوفة والسلطة السياسية .

٢ - دور المتصوفة السياسى

(المعارضة والشفاعة للرعية عند الحكام)

٣ - العزوف عن المشاركة فى المناصب الدينية للدولة .

٤ - المتصوفة والجهاد فى الأندلس ضد الأسيان .

(أ) معركة الأرك (٥٩١ هـ / ١١٩٤ م)

(ب) معركة العقاب (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م)

التصوفة والسلطة السياسية

اضطربت علاقة الحكام بتصوفة المغرب الأقصى، فتارة نجد للمتصوفة منزلة كبيرة لدى الحكام سواء أكانوا أمراء أو خلفاء، وتارة أخرى نجدهم يتعرضون للمضايقات والتعاب حيناً، وللسجن حيناً . لذلك يمكن القول بأن العلاقة لم تكن حسنة باستمرار أو سيئة على الدوام .

فإذا شئنا النظر إلى محاسن تلك العلاقة، فسوف نجد ما يؤكد علاقة الود وارتفاع منزلة بعض المتصوفة في نفوس الحكام، من الحرص على زيارتهم والتودد إليهم، والتقرب منهم لارتفاع مكانتهم بين عامة الشعب. فقد زار أمير المسلمين على بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ - ١١٤٣ م) حين قدم من مراكش إلى أغمات كلا من الصوفي أبي محمد عبد الله المليجي - وهو جراحى سكن مدينة أغمات وريكة وتوفى بها قبل عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م - والصوفي عبد الجليل بن ويحلا (١) - الدكالي نزىل أغمات وريكة وبها توفى عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م (٢) - وحرصاً منه على نيل رضائهما بعث أمير المسلمين إلى كل واحد منهما بألف دينار رفضها عبد الله المليجي وردها إليه، أما الآخر فقد أخذ المال وتصدق به على المساكين (٣).

(١) التادل : الشوف إلى رجال التصوف ، ص ١٤٥ .

العباس بن إبراهيم : الإعلام ، ج ٨ ، ص ١٩١ .

(٢) الصومعي : المعزى فى مناقب سيدى أبى يعزى ، مخطوطة ، ورقة ٩ .

التادل : مصدر سابق ، ص ١٤٦ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٩ .

(٣) الصومعي : المعزى ، مخطوطة ، ورقة ٩ . التادل : مصدر سابق ، ص ١٤٥ .

كما وفد الصوفي أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضريير - وأصله من سرقسطة^(٤) وسكن مراکش وبها توفي عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م - على أمير المسلمين علي بن يوسف ، فبعث إليه بحال كثير، ولم يخرج هذا الصوفي من مراکش إلى أغمات حتى وزع المال على الفقراء والمساكين^(٥) .

وخرج أمير المسلمين علي بن يوسف من مراکش، لزيارة الصوفي أبي الأمان الهيسكوري الأسود المتوفى عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م . فلم يرد أبو الأمان أن يدخل إليه ، فخرج إليه من داره ، ولقيه في الفحص وقعد معه ساعة ثم افترقا^(٦) .

كما زار أمير المسلمين تاشفين بن علي (٥٣٧ - ٥٤١هـ / ١١٤٣ - ١١٤٦م) الصوفي أبا زكريا يحيى بن محمد الجراوى من بلاد تادلا^(٧) ، فسلم عليه وخرج عنه^(٨) ، وذلك حين خرج تاشفين من مراکش إلى وهران، لتعقب عبد المؤمن بن علي عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م^(٩) ،

(٤) سرقسطة مدينة تقع في شرق الأندلس وهي من قواعد الأندلس كبيرة القطر أهلها لها أسوار منيعة وبحيرات كثيرة.

انظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣١٧ .

(٥) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ص ١٠ ، ٣٠٨ .

(٦) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٥٢ .

(٧) تادلا مدينة قديمة أزلية بنى اللثمون فيها حصنا منيعا كثيرة الخيرات أحاطت بها قبائل من كل جانب.

انظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٧ .

(٨) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٣٨ .

(٩) البليزق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٥٩ .

وقد استغل هؤلاء المتصوفة علاقتهم الطيبة مع الحكام لرفع الظلم عن كاهل الرعية إذا وجد، وتبصيرهم بالعدل إذا حادوا عنه . يوضح ذلك أن الصوفى أبا العباس السبتي (٥٢٤هـ/ ٦٠١-١١٢٩م) زاره أحد السلاطين فقام بنصح قائلاً له " كل ما أراد الله أن يفعله معك فافعله مع عبيده " (١٠) .

وإذا كان هناك بعض المتصوفة لم يجدوا غضاضة فى لقاء الحكام، مثلما عرضنا لذلك من قبل فإن منهم من كان ينهى عن ذلك ويرفض لقاءهم ويطالب بالبعد عن تلقفهم . فنجد أن الصوفى أبا الفضل بن أحمد بن محمد السجلماسى المتوفى عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، طلبه السلطان للاجتماع به لكنه خاف على نفسه فاخفى منه فى بستان له (١١) .

والصوفى أبو يحيى أبو بكر بن ملوك الصنهاجى الأسود - من بلد دادس من بلاد القبلة (١٢) توفى عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م - قصده أحد الأمراء لزيارته، فسمع بذلك فكره الاجتماع به، وعاد الأمير بعد أن فشل فى الاجتماع به (١٣) . ولم يكتف بعض هؤلاء المتصوفة بالنفور من لقاء الحكام ، بل بعضهم يرفض قبول هداياهم (١٤) .

(١٠) التادى : مصدر سابق ، ص ٤١٦ .

المقرى : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

(١١) التادى : مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

(١٢) دادس المجرى الأعلى لوادى درعه انظر : هامش رقم ٢٨٨ لحقق كتاب التشوف، ص ٤١٣ .

(١٣) التادى : مصدر سابق ، ص ٤١٣ .

(١٤) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن علاقة الود التي ربطت بين بعض المتصوفة والحكام ، يحرص الحكام على زيارتهم ، فإن بعض المتصوفة تعرضوا لمضايقات وإيذاعات الحكام، ويرجع ذلك لسعى بعض الفقهاء بهم عند السلاطين. ولأن شيوخ التصوف ومريديهم كانوا ملتزمين فى اقوالهم بالكتاب والسنة، ولم يوجد بينهم من مزج بين تصوفه والأفكار الأجنبية الدخيلة على الفكر الإسلامى ولأن تصوفهم كان قائما على إيمان وعلم وتقوى وورع لذلك لم يجد الفقهاء سوى العمل على تخويف السلاطين منهم، بسبب التفاف الناس حولهم، وأنهم مصدر خطر على الدولة حسب ادعاءاتهم على هؤلاء المتصوفة. والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن الصوفى أبى العباس أحمد المعروف بابن العريف كان يقصده الناس وبألفه أهل الزهد، ويقصدونه فيحمدون صحبته، لذلك سعى به إلى السلطان، والذي سعى به هو القاضى ابن أسود (١٥) الذى كان بالمرية (١٦).

ووفد على السلطان على بن يوسف بمراكش، وخوفه منه غاية التخويف، فطلب السلطان بإشخاصه إلى مراكش، ولما وصل إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان وبتمريحه وحل قيوده، لأنه تأكد أنه برىء مما نسب إليه، وعندما وصل إلى مراكش أقبل عليه السلطان وأكرمه وأمره أن يعرض حوائجه فقال له : "ليس

(١٥) القاضى ابن اسود هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الفسائى له رحلة إلى الشرق لقي فيها أبا بكر الطرطوشى توفي فى نكيتة بمراكش عام ٥٣٦هـ/١١٤١م .

ابن يشكو ال : الصلاة ، نشر السيد عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج-٢ ،

ص ٥٥٣.

ابن الآبار: للمعجم فى اصحاب القاضى على الصدفى، مجرىط ١٨٨٥، ١٢٦، ١٢٧.

(١٦) المرية من قواعد الاتنلس تقع فى جنوبية الغربى.

انظر : الادريسي : مصدر سابق، ج-٢، ص ٥٦٢، ٥٦٣.

لى حاجة إلا أن تتركى أذهب حيث شئت" فأذن له فى ذلك^(١٧) ولما رأى ابن أسود ما حصل لابن العريف من الخطوة عند السلطان، احتال عليه ودس له السم فى الطعام ، فلما علم السلطان بما كان من ابن أسود بعثه إلى السوس الأقصى^(١٨). وأمر أن يسقى سمهناك فامتثل ما أمر به فمات^(١٩) .

كما سعى بكل من أبى عبدا لله محمد بن عمر الأصم وهو من أكابر صوفية سحلماسة وتوفى عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م - وأبى عبدا لله اللقاق وأضرابهما عند ناشفين بن على، فأمر بإشخاصهما إلى مدينة فاس فسجنا بها ثم ظهر للسلطان براءتهما مما نسب إليهما فأطلق سراحهما^(٢٠) .

كما سعى ببعض المتصوفة عند العمال ، فالصوفى تنفيت البرصجى الدكالى المتوفى قبل عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م سعى به عند عامل على بن يوسف واغلظ له العامل فى القول، وكان هذا الصوفى بريئا مما نسب إليه^(٢١).

(١٧) التادل : التشوف ، ص ١١٩ ، ١٢٠

ابن الأبار : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، ١٢٠ .

الصفدى : مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٣٣ .

العماد الحنبلى : شفرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١١٢ .

(١٨) السوس الأقصى فى بلاد المغرب وهو مدن كثيرة وبلاد واسعة يشقها نهر يصب فى البحر المحيط يسمى ماست انظر:

الحميرى: مصدر سابق ، ص ٣٣٠، ٣٢٩ .

(١٩) التادل : مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

العيسى بن إبراهيم: الإعلام ، ج ٢ ، ص ٥ إلى ٧ .

(٢٠) التادل : مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

(٢١) للمصدر السابق ، ص ١٥١ .

وهناك من العمال من تعرض للمتصوفة بالإيذاء ، بسبب الخوف منهم والتفاف الناس حولهم. فالصوفي أبو عبد الله محمد بن موسى الأزكاني استقر في صفرو^(٢٢) ، واجتمع حوله جموع كثيرة، فتاب على يديه مئات من الرجال وتسامع الناس به فجاءه من كل مكان وكثروا . فسمع بذلك القائد ابن حسون - وكان واليا على فاس - فخرج إليه في جمع كثير من الخيل والرجال يطلبه، لكنه هرب ولم يستطع القائد المذكور القبض عليه^(٢٣) .

وهذا ولم يكن المتصوفة بمعزل عن الأحداث السياسية فعارضوا السياسات الجائرة وكان لهم في ذلك دور جدير بالذكر .

دور متصوفة المغرب (الأقصى) في معارضة السياسات الجائرة

تذكر المصادر التاريخية بعض الوقفات الحاسمة لمتصوفة المغرب الأقصى، ضد السلاطين وعمالهم وذلك للدفع ظلهم وقراراتهم المتعسفة. فلم يخشوا سطوتهم، وأعلنوا ذلك صراحة وعلى الملأ فلا خوف إلا من الله سبحانه وتعالى. فالصوفي أبو مهدي وبين السلامة بن جلداسن الدكالي المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، كان لا يخشى السلطان إذا تحدث، ولا يخشى أن يصل كلامه إليه، لأن الخوف من الله وليس من عبده^(٢٤) .

(٢٢) صفرو تقع على أميال من مدينة فاس وهي على الطريق من فاس إلى سجلماسة. انظر : مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد بغداد ١٩٨٦ ، ص ١٩٣ .

(٢٣) التادلي : مصدر سابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

كما وقف الصوفي أبو محمد عبد الله المليجي المتوفى قبل عام ١١٤٥/هـ ١١٤٥م معارضا موافقة أمير المسلمين على بن يوسف لفتوى فقهاء مراكش بإحراق كتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي^(٢٥). ولم يخش على بن يوسف ولا الفقهاء ولم يجرؤ السلطان أن يفعل معه شيئا لمنزلته، فقد كان من كبار صوفية المغرب الأقصى^(٢٦) .

كما عارض الصوفي أبو الحسن على بن إسماعيل بن حرزهم الفاسي المتوفى عام ١١٦٣/هـ ١١٦٣م، قرار أمير المسلمين على بن يوسف بطرح أبي الحكم بن برجان^(٢٧) بعد موته على المزبلة ولا يصلى عليه، وعين أحد الفقهاء ليتكلم عنه^(٢٨) . ويرجع سبب اتخاذ هذا القرار أن ابن برجان قد اشخصه الأمير على بن يوسف من قرطبة إلى مراكش ، وسئل عن مسائل عييت عليه فاخرجها على ما تختمله من التأويل ، ودعا على أمير المسلمين لأنه اشخصه ، لذلك أمر أمير المسلمين بما أمر به بعد وفاته. وحين علم ابن حرزهم من أحد مريديه بما أمر به الأمير على بن يوسف في شأن ابن برجان، غضب لهذا القرار الجائر وأمره أن ينادى في أسواق مراكش وطرقاتها ، ويطلب من الرعية أن يحضروا جنازة الشيخ

(٢٥) للمصدر السابق ، ص ١٤٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٩١.

(٢٦) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٤٥.

(٢٧) ابن برجان هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي توفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م بمدينة مراكش كان عبدا صالحا له تفسير للقرآن العظيم .

انظر : ابن حلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٢٣٦.

العباس بن إبراهيم: مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٤٧٣.

(٢٨) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٧٠.

الفاضل الفقيه الزاهد بن برجان ، ومن قلد على حضورها ولم يحضر لعنة الله عليه ولما بلغ على بن يوسف تحدى ابن حرزهم لقراره، رضح لرأى ابن حرزهم لارتفاع مكانته بين الحكام والرعية وأمر أن يصلوا على ابن برجان(٢٩) .

كما هرع جماعة من أهل أدار من بلد رجاجة، إلى أبي إبراهيم إسماعيل بن وجمان المتوفى عام ٥٩٥هـ، ١١٩٨م، فشكوا له جور العامل وانتهاكه حرمة الله، فغضب أشد الغضب ولم يسكت على هذا الجور، وانتهاز فرصة صلاة الجمعة فى الجامع ، فلما انتهت الصلاة قام بعظة الحاضرين والعامل حاضر ، فتكلم فى حقه بكلام خاف منه الناس على أنفسهم ، فخرجوا من المسجد كلهم، وخرج العامل أيضا وانتظر خارجه حتى خرج أبو إبراهيم فقبض عليه(٣٠)، ولم يخش هذا الصوفى العامل ، وأغلظ له فى القول وهو حاضر معرضا نفسه للعقاب والحبس، حتى عرف العامل مكانته فتغافل عن أمره ولم يتعرض له بعد ذلك بشيء(٣١) .

كما تصدى الصوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الهوارى للمتوفى عام ٥٨١هـ / ١١٨١م، لجور عامل أغمات وريكة ، الذى كتب أحباس الجامع فى زمانه (٣٢) وهناك حالات أخرى عارض فيها رجال التصوف سياسة العمال الجائرين حين شكوا الناس إليهم هذه السياسة (٣٣) .

(٢٩) للمصدر السابق والصفحة .

ابن القاضى : حذوة الاقتباس ، جـ ٢ ، ص ٤٦٤ إلى ص ٤٦٦ .

(٣٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٥٤ .

(٣١) للمصدر السابق ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٣٢) للمصدر السابق ، ص ٢٧٠ . العباس بن إبراهيم: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

(٣٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤٢١ .

وبالإضافة إلى معارضة المتصوفة السياسات الجائرة للسلطين أو لعمالهم ، فقد استغلوا مكائنتهم داخل مجتمع المغرب الأقصى وأسدوا إلى الناس الكثير من الخدمات حين وقفوا فى وجه استبداد السلطين وعمالهم، وتشفعوا لرعاياهم واستحييت شفاعتهم .

دور المتصوفة فى الشفاعة للرعية عند الحاكم :

قام المتصوفة فى هذا المجال بدور ملحوظ ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها تشفع الصوفى أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الأزمرورى المتوفى عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م، فى نساء على بن يوسف المرابطى ونساء أولاده عند الحاكم الموحدى عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٣٠ - ١١٦٣م)، وقبل عبد المؤمن شفاعته ، وأمر بإطلاق سراحهم لارتفاع مكائنته عند عبد المؤمن بن على^(٣٤) . كما تشفع هذا الصوفى أيضا فى جماعة من أهل أزمرور أراد الوالى قتلهم ، فعرف الوالى مكائنته فخشيه وقبل شفاعته. ولذلك كان أهل أزمرور يهرعون إليه لرد أى ابتلاء من قبل الوالى (٣٥).

كما تشفع أبو الأمان بن مشو الرفروفى - من بلد تادلا والمتوفى عام ٦١٥هـ / ١٢١٨م - لقوم أخذ منهم إسحاق بن يحيى من عمال الناصر الموحدى (٥٩٥ - ٦١١هـ / ١١٩٩ - ١٢١٤م) دوابهم، حتى يدفعوا له مبلغ مائتى دينار، فشكو إلى أبى الأمان فكتب إلى العامل كتابا بالشفاعة لهم ، فقام العامل برد دوابهم(٣٦) .

(٣٤) الصومعى : العزى ، مخطوطة ، ورقة ١٠ ، ١١ .

(٣٥) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٨٨ .

(٣٦) للمصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

وعلى أية حال فقد استجاب الحكام للكثير من الشفاعات التى قام بها المتصوفة بفضل المكانة الاجتماعية الكبيرة لهم ، والتى تمثلت فى التناف الرعية حوهم وتقدير إياهم ولذلك كان غريبا أن يرفض هؤلاء المتصوفة تولى المناصب الدينية التى عرضت عليهم .

(العزوف عن المشاركة فى المناصب الدينية للدولة :

جدير بالذكر أن متصوفة المغرب الأقصى فى الفترة الزمنية للدراسة ، قد عزفوا عن المشاركة فى المناصب الدينية، حين رفضوا تولى منصب القضاء، ومنصب الحسبة، ويعد منصب القضاء من الوظائف الهامة فى الدولة الإسلامية، لأنه يفصل فى المنازعات حسب الأحكام الشرعية التى يستمدّها من الكتاب والسنة .

وإذا كان الصلاح وشدة الورع والخوف من الله تعالى أهم سمات من يتولى منصب القضاء ، فإن هذه السمات كانت تسمح لمعظم متصوفة المغرب الأقصى بأن يرشحوا لتولى هذا المنصب. وكانت سلطة تعيين قضاة المدن فى يد سلطة قاضى القضاة ومقره مراكش ، يوضح ذلك أن قاضى القضاة أبا يوسف حجاج بن يوسف التجيبى قد رشح الصوفى أبا محمد عبد العزيز بن محمد الباغاتى لمنصب قضاء مدينة أغمات (٣٧). وأتباعا لسياسة الزهد فى الدنيا ومناصبها ، وخوفا من تبعات المنصب أمام الله

(٣٧) التادل : مصدر سابق ، ص ٢٠٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ١ ، ص ٤٠١.

عز وجل ، ذهب هذا الصوفى إلى مراكش، وطلب من قاضى القضاة أن يعفيه من ولاية القضاء. لكن قاضى القضاة تمسك به لفضله وورعه، لكنه صمم على موقفه فى رفض تولي خطة القضاء، وقال له: " والله لو نشرت بالمنشأ من قرنى إلى قدمى ما قبلت هذه الولاية" إزاء هذا الموقف قام قاض القضاة بإعفاءه من هذه الولاية(٣٨).

ومن المناصب الدينية التى عزف المتصوفة أيضا عن توليها وظيفه الحسبة وهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذى هو فرض على القائم بأمر المسلمين . وهدفها حماية الرعايا من الغش والتدليس والاستغلال وحماية الآداب العامة. ولصاحبها النظر والحكم فى آن واحد وهى بذلك خادمة لمنصب القضاء(٣٩) ومندرجة تحت مسئوليات القاضى الذى يقوم بتعيين المحتسب. فالقاضى أبو يوسف حجاج بن يوسف بعث إلى أبى عبد الملك مروان اللاتونى العابد المتوفى عام ١١٧١هـ / ١١٧٥ م ، أن يصل إليه من مدينة فاس، ليقدمه على وظيفة الحسبة بمدينة مراكش(٤٠) لكنه رفض أن يتولى خطة الحسبة لرغبته فى سلوك طريق التصوف(٤١) .

(٣٨) التادلى : مصدر سابق ، ٢٠٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨ ، ص ٤٠١.

(٣٩) ابن خلدون : اللقمة ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

(٤٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٣٨ .

ابن القاضى : جنوة الاقباس ، ج ١ ، ص ٣٣٤.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٤١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٣٨.

وكانت هناك محاولة لإكراه الصوفي أبي يعقوب يوسف بن علي المؤذن المتوفى عام ٥٥٧هـ / ١١٦١م . على ولاية الحسبة في مدينة داي من بلاد تادلا، لما شهر به من صلاح وورع وكثرة البكاء والاجتهاد والعبادة ، لکه رفض هذه الولاية وأعفى منها (٤٢) .

لقد كان موقف هؤلاء المتصوفة بعدم المشاركة في شغل المناصب الدينية موقفا سليما. فلو تولوا هذه المناصب لأسدوا للرعايا الكثير من الخدمات لورعهم وتقواهم ، لكنهم أثروا البعد ورفضوا تولي هذه المناصب ، خوفا من الوقوع في النفاق ، وفقدان القدرة على قول الحق ومعارضة الباطل. كما أنهم نظروا إلى أن هذه المناصب يتكالب عليها طلاب الدنيا، والأحدر باصحاب الذكر والطريق الابتعاد عنها . كما ان رفض تولي هذه المناصب يعد حرصا على عدم إقامة أى علاقة مع السلطة بإيثار الابتعاد عنها . وإذا كانوا قد رفضوا المشاركة في شئون الحكم فقد شاركوا في حملات الجهاد ضد الإسبان .

(المتصوفة والمشاركة في الجهاد ضد الأسبان) :

شارك متصوفة المغرب الأقصى في أهم أحداث عصرهم العسكرية حين عبروا إلى الأندلس للجهاد ضد الأسبان . ولأن تصوفهم كان قائما على الكتاب والسنة، فقد اقبلوا على تلاوة القرآن الكريم والتأمل والتدبر في معانيه، والعمل به فلبوا نداء الجهاد رغبة في الفوز بالشهادة ونعيم الآخرة واستجابة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تَوَمَّنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، يَغْفِرُ

لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴿٤٣﴾ ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قائلاً: دلني على عمل يعدل الجهاد، فقال : لأجد(٤٤) . لذلك شارك المتصوفة في معركتين من أهم معارك الجهاد في بلاد الأندلس وهما معركة الأرك والعقاب.

أولاً : معركة الأرك :

وتعد معركة الأرك Alarc (٤٥) التي دارت رحاها في التاسع من شعبان سنة ٥٩١ هـ الثامن من شهر يولية ١١٩٤ م ، من المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام في الأندلس وهي معركة شارك فيها متصوفة المغرب الأقصى مع المتطوعين، في عهد يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م) .

أما الظروف التي أملت على يعقوب المنصور العبور إلى الأندلس للمرة الثانية(٤٦) ، توالى كتب مسلمي الأندلس ، وقادة الثغور فيه باشتداد الضغط

(٤٣) سورة الصف ، الآيات ١٠ ، ١٣ .

(٤٤) البخاري : صحيحه ، دار الجيل بيروت ، ج ٤ ، ص ١٨ .

(٤٥) الأرك هو أسم سهل واسع وراء جبل الشارت وكانت هذه الجبال قد غدت على عهد الموحدين حاجزا بين الأندلس المسلمة ودولة قشتالة النصرانية وبحوار سهل الأرك قامت قلعة رباح الشهيرة . انظر : مجهول : الحلل الموشية، هامش رقم ٥ ، ص ١٥٩ .

(٤٦) عبر يعقوب المنصور إلى الأندلس في غزوته الأولى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م بعد سقوط شلب في يد بيدروين هنريكنر ملك البرتغال وكانت من أكبر موانئ غرب الاندلس . وخرج يعقوب المنصور وحقق الانتصارات واستعاد شلب وعدداً آخر من الحصون سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ثم شغله شواغل أخرى وألم به مرض فعقد مع التصاري صلحا لمدة خمس سنوات .

انظر : المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٠ ، ابن خلدون : المعر ، ج ٦ ، ص ٥١١ ، ٥١٢ .

النصراني وثقل وطأته بتفاقم غاراته . فقد بعث ألفونسو الثامن ملك قشتالة بيجوشه فى حملة تخريبية إلى أراضى الأندلس ، عاثت فيها اشد عبث واستولت على كثير من الغنائم ، ناقضا بذلك الهدنة التى كانت معقودة بينه وبين الموحيدين . فرفعت هذه المخاطبات والانباء كلها إلى المنصور ، فرأى أن تعد العدة للسير إلى الأندلس (٤٧) . خاصة أن الفونسو الثامن ملك قشتالة أرسل كتابا إلى يعقوب المنصور يستغفره فيه للقتال (٤٨) .

واقبلت الحشود من كل صوب وكانت رغبة المجاهدين فى العبور إلى الأندلس كبيرة وخصوصا المتطوعة من فقهاء المغرب وصلحائه من الصوفية (٤٩) الذين أسهموا فى هذه المعركة الحاسمة التى ثبتت حدود الإسلام فى الأندلس . والتى عقد فيها يعقوب المنصور للحاج الصالح أبى خرزى خلف الأوربى على المتطوعة (٥٠) ، وكانت رايتهم خضراء (٥١) . كما يمدنا التادلى بترجمة لأحد شيوخ

- ابن عذارى: البيان المغرب ، قسم الموحيدين، الدار البيضاء ١٩٨٥، ص ٢٠٣، إلى ٢٠٦ .
محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحيدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى
عصر الموحيدين ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ١٩٧ .
(٤٧) المراكشى : مصدر سابق، ص ٢٨٢ .
ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٢٢٠ .
التويرى : مصدر سابق ، ج ٢٤ ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .
(٤٨) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٢٢٠ . انظر نص الرسالة فى نفس المصدر
ص ٢٢١ .

(٤٩) للمصدر السابق ، ص ٢٢٢ .

(٥٠) للمصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٥١) للمصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

التصوف الذين شاركوا فى هذه المعركة، وهو أبو محمد عبد الواحد بن تومرت المسكورى الأسود. وهو رجل صالح لا يفتى عن ذكر الله، توجه مع جيوش المسلمين إلى جزيرة الأندلس، وشارك فى معركة الأرك حتى استشهد فى سبيل الله (٥٢).

وإذا كان ابن أبى زرع قد اشار إلى أن أحد المتصرفه قد تسولى قيادة جيش المتطوعة، والتادلى قد أمدنا بترجمة لأحد شيوخ التصوف الذى شارك فى غزوة الأرك. فإننا نعتقد أن هناك أعدادا كبيرة من الصوفية قد خرجوا للجهاد فى الأندلس. إذ يقول المراكشى أن أمير المؤمنين أبا يعقوب المنصور اعتمد فى جيشه على أعداد كبيرة من المتطوعين من الصالحين (٥٣)، كما نعتقد أن هناك الآلاف من المريدين قد خرجوا للجهاد مع شيوخهم اقتداء بهم.

والتقى المسلمون مع القشتاليين شمالى قرطبة عند قلعة رباح واقتتلوا قتالا عظيما وكانت الحرب فى اولها على المسلمين، ثم انجملت عن انتصار ساحق للمسلمين، وأنزل الله نصره على الموحدين واستولوا على ما حول طليطلة من الحصون. ثم عاد يعقوب المنصور إلى اشبيلية منصورا (٥٤) وكانت معركة الأرك بدون شك آخر معركة عظمى حقق فيها المسلمون انتصارا حاسما على الأسيبان.

(٥٢) التنوف إلى رجال التصوف، ص ٣٥٩.

(٥٣) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٨٢.

(٥٤) المصدر السابق، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

ابن عنارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢١٨، ٢٢١.

ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥١٢، ٥١٣.

التويرى: مصدر سابق، ج ٢٤، ص ٣٣٣، ٣٣٤.

ثانيا : معركة العقاب :

ومن معارك الجهاد الأخرى التى شارك فيها متصوفة المغرب الأقصى، معركة العقاب(٥٥). التى وقعت فى الخامس عشر من صفر سنة ٦٠٩هـ/ السابع عشر من يوليو سنة ١٢١٢م، فى خلافة أبى محمد عبد الله الناصر(٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٩ - ١٢١٣م) .

وترجع أسباب تلك المعركة إلى استئناف الأسبان لغزواتهم المخربة فى أراضى الأندلس ، متتهزين انشغال الخليفة الموحدى الناصر منذ ارتقائه العرش بحوادث أفريقية ، واستيلاء بنى غانية على قواعدها وثغورها. والعمل على تحريرها عن سیر الحوادث فى الأندلس(٥٦) .

ولما اقترب أجل انتهاء الهدنة بين قشتالة والموحدين التى وقعها يعقوب المنصور، أخذ ملك قشتالة ألفونسو الثامن يتأهب لغزو الأندلس، للانتقام لمزيمته فى معركة الأرك. فخرج من قشتالة فى قواته عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٩م صوب جيان وخرب واستولى على عدة حصون ، وأصاب المسلمين من جراء ذلك عن وخسائر فادحة وخرج فى العام التالى سنة ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م، ووصل فى عبئه إلى ولاية مرسية، ثم عاد إلى طليطلة مثقلا بالغنائم(٥٧) .

(٥٥) العقاب حصن يقع فوق قمة أحد جبال الشارات التى تفصل بين الأندلس وأسبانيا النصرانية وهو يحتل أعلى قمة فى الجبل انظر : محمد عبد الله عنان، دول الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ، ص ٣٠٢.

(٥٦) المراكشى : مصدر سابق ، ص ٣١٧، ٣١٨ .

ابن عذارى : البيان قسم للموحدين ، ص ٢٣٨ إلى ٢٤٥ .

ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٥١٧ إلى ٥٢٠ .

(٥٧) المراكشى: مصدر سابق، ص ٣١٨. محمد عبد الله عنان، مرجع سابق ، ص ٢٨٤.

وأمام عجز القوات الموحدية الصغيرة فى صد تلك الجيوش الأسبانية الغازية، كان لا بد أن يعبر أمير المؤمنين بنفسه فى جيوشه الجرارة إلى شبه الجزيرة، ليقود بنفسه الجيوش الإسلامية مثلما فعل أبوه وجده. وهكذا استجاب الناصر للداعى الجهاد وأخذ فى الاستعداد ونفذت كتبه إلى سائر أنحاء المغرب وأفريقية وبلاد القبلية باستنفاار الناس للجهاد، فاستجابت سائر الجهات والقبائل للدعوة (٥٨) .

وانضم متصوفة المغرب الأقصى إلى الجيش الذى عبر إلى الأندلس، فقد حفظت لنا كتب الطبقات ترجمة لشيخ من صوفية المغرب الأقصى، انضم إلى الجيش الموحدى، وهو أبو الصير ايوب بن عبد الله الفهرى وهو من شيوخ التصوف من أهل سبتة قدم مراكش وصحب ابا يعزى وأبا مدين وابن غالب ورحل إلى المشرق فلقى العلماء والفضلاء واستشهد فى وقعة العقاب عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م (٥٩) . وهذا يعنى أن هناك الكثير من متصوفة المغرب الأقصى قد شاركوا فى وقعة العقاب مع المتطوعين للجهاد فى الأندلس .

خرج الناصر فى قواته من مراكش عام ٦٠٧هـ / ١٢١١م إلى الأندلس بعد أن أعد جيشا ضخما لمحاربة الأسبان لكنه تعرض بجيشه لهزيمة كبيرة، بعد أن داهمهم الأسبان وهم على غير أهبة سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م (٦٠) وقتل من جيشه

(٥٨) المراكشى : مصدر سابق ، ص ٣٢١ .

(٥٩) التادلى: مصدر سابق ، ص ٤١٥ .

ابن القاضى: مصدر سابق، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٧١، ٧٢ .

(٦٠) ترجع أسباب الهزيمة إلى انفصال الأندلسيين عن الجيش الإسلامى بسبب موقف

وزير الناصر ابن جامع منهم وعدم ثبات البربر والعرب وتأخر عطاء جيش الموحدين كثيرا و
تماسك جيوش النصارى .

انظر : إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

خلق كثير، وثبت محمد الناصر ثباتا لم ير من ملك قبله، ولولا ذلك لاستوصلت تلك الجموع^(٦١) .

هكذا شارك متصوفة المغرب الأقصى في أحداث عصرهم السياسية ، كما شاركوا بإيجابية في أحداثه العسكرية . ويرجع ذلك لارتفاع مكانتهم الاجتماعية داخل مجتمعاتهم .

(٦١) المراكشي : مصدر سابق ، ص ٣٢١ .

ابن عذاري : البيان قسم للموحدين ، ص ٢٥٨ إلى ٢٦٣ .

النويري : مصدر سابق، ج ٢٤ ، ص ٣٤٢ .

الفصل الثالث

المتصوفة والمجتمع

- ١ - انتشار التصوف فى كل أنحاء المغرب الأقصى المختلفة.
- ٢ - التصوف وانتشاره بين أفراد من معظم القبائل البربرية والعربية.
- ٣ - الطبقات التى سلكت طريق التصوف.
- ٤ - النساء والتصوف.
- ٥ - عائلات صوفية.
- ٦ - الدور الاجتماعى للمتصوفة.
- ٧ - المتصوفة والقيم الاجتماعية.
- ٨ - مكانة المتصوفة الاجتماعية داخل المجتمع.

انتشار التصوف في كل أنحاء المغرب الأقصى المختلفة :

انتشر صوفية المغرب الأقصى في كل أرجائه في شماله، ووسطه وجنوبه. ففي شماله الذي يشمل المنطقة الممتدة من مدينة سبتة حتى وادي سبيو، استقروا في مدن سبتة^(١)، وطنجة^(٢)، ومنطقة جبل الريف^(٣)، وقصر كتامة^(٤)، وفاس^(٥)، ومكناسة^(٦). وفي وسطه الذي يشمل المنطقة الواقعة بين نهري أبي رقراق وأم الربيع، سكنوا في سلا^(٧)، وتامسنا^(٨)، وتادالا^(٩)، وأزمور^(١٠). أما المنطقة الجنوبية من المغرب الأقصى التي تقع جنوب وادي أم الربيع، فانتشروا في

(١) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٧١ ، ص ٤١٥ .

ابن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، فاس ١٩١٨ ،

ص ٢ - ١٢ .

(٢) التادلي : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، ص ٤٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ، ٤١٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ١٠١ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٧٢ .

الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عن أقر من العلماء والصلحاء مدينة فاس ،

فاس ١٨٩٩ ، حد ٣ ، ص ٧١ ، ١١٠ ، ١٦٢ .

(٦) التادلي : مصدر سابق ، ص ٣١٦ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٦٥ ، ١٨٤ ، ٢١١ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٣١١ ، ٤٠٧ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٥٨ . الكتاني : مصدر سابق ، حد ٣ ،

ص ١٥٣ .

(١٠) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٤٤ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ٢٠٩ .

ابن الموقت : مرجع سابق ، حد ١ ، ص ١٣١ .

أقاليم همسكورة^(١١)، ورجراجة^(١٢)، وحاحة^(١٣)، ودكالة^(١٤) وهزرجة^(١٥). كما
سكن بعضهم في مدن مراكش^(١٦)، وأغمات^(١٧)، وسجلماسة^(١٨)، ودرعة^(١٩).
وانسا^(٢٠)، وتارودانت^(٢١)، ومنطقة دادس في بلاد القبيلة^(٢٢)، واستقر بعضهم
بجبل تينمل^(٢٣) .

(١١) التادل : مصدر سابق ، ص ١١٣ ، ١٥٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(١٢) للمصدر السابق ، ص ٨٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٤٥ .

ابن اللوقت : مرجع سابق ، ص ٢٣ ، ٦٣ .

(١٣) التادل : مصدر سابق ، ص ٢٨٢ .

(١٤) للمصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ .

ابن اللوقت : مرجع سابق ، ص ٦٣ ، ٦٥ .

(١٥) التادل : مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .

(١٦) للمصدر السابق ، ص ١٠٥ ، ١٦٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٨٩ .

٢٩٥ ، ٣٠٣ .

ابن اللوقت : مرجع سابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ص ٢٣ ، ١٤ ، ١١٩ ، ١١٤ .

(١٧) التادل : مصدر سابق ، ص ٨٣ ، ٩٢ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ .

٣٠٢ .

ابن اللوقت : مرجع سابق ، ص ٦٢ ، ٦٠ ، ٦٥ .

(١٨) التادل : مصدر سابق ، ص ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

الكثاني : مصدر سابق ، ص ٣ ، ١٠٢ ، ١٢٦ .

(١٩) التادل : مصدر سابق ، ص ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ، ٣٤٧ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

ونظيره على هذا الانتشار الكبير لشيوخ التصوف فى المغرب الأقصى فى الفترة الزمنية للدراسة، نجد أنه شمل بيئات وانحاء المغرب فانتشر التصوف فى المناطق السهلية مثل سهول تامسنا ودكالة، وحاحة، والسوس الأقصى. وفى المدن الساحلية مثل سبتة، وطنجة، وسلا، وأزمور. وفى المدن الكبرى الحضرية مثل فاس، ومراكش. وفى البوادي والمناطق الرعوية فى درعة، وسجلماسة، ولطة، وبلاد القبلية التى تقع جنوب درعة وفى المناطق الجبلية فى جبال الريف وجبل دمنات فى إقليم هسكورة، وجبل تينمل من جبال الأطلس. ومن هذا يتضح لنا بعد استعراض تراجم مائتين وخمسين من شيوخ التصوف الذين استقروا فى المغرب الأقصى أن ظاهرة التصوف لم ترتبط بمنطقة جغرافية معينة.

وجدير بالذكر أن كتب الطبقات والتراجم قد أمدتنا بمعلومات تفيد فى تحديد أماكن استقرار مائتين وثمانية وثلاثين متصوفا منهم مائتان وعشرة متصوفا ولدوا فى المغرب الأقصى واستقروا فيه، ومنهم ثمانية وعشرون متصوفا من المهاجرين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى واستقروا فيه، كما أن هناك اثنا عشرة ترجمة لم نستطيع تحديد مكان الميلاد، ومكان الاستقرار. وتوضح الجداول الآتية أماكن استقرار مائتين وثمانية وثلاثين متصوفا داخل المغرب الأقصى سواء ولدوا فيه أو هاجروا إليه خلال فترة البحث وتم تقسيم المتصوفة إلى ثلاث مجموعات حسب مناطق استقرارهم.

أولا : مجموعة شمال المغرب الأقصى :

عدد المهاجرين	عدد المغاربة	عدد المتصوفة	المدينة
	٦	٦	سبتة
	٢	٢	طنجة
	١	١	ورغة
	١	١	غمارة
٢	١	٣	قصر كتامة
٥	١٥	٢٠	فاس
	٣	٣	مكناس
٧	٢٩	٣٦	المجموع

ثانيا : مجموعة الوسط :

عدد المهاجرين	عدد المغاربة	عدد المتصوفة	المدينة
	٥	٥	سلا
	٤	٤	تامسنا
	٢٣	٢٣	تادلا
	١٣	١٣	ازمور
—	٤٥	٤٥	المجموع

ثالثا: مجموعة الجنوب :

عدد المهاجرين	عدد المغاربة	عدد المتصوفة	المدينة أو المنطقة
—	١٥	١٥	هسكورة
—	٢٦	٢٦	دكالة
١	١٢	١٣	رجراجة
—	١	١	حاحة
—	١	١	هزرجه
—	٢	٢	هزميرة
١١	٣٨	٤٩	مراكش
٧	١٥	٢٢	اغضات
—	١	١	تينمل
—	٢	٢	نقيس
—	١	١	صوده
—	١	١	انسنا
—	١	١	تارودانت
			"السوس الأقصى"
٢	١٤	١٦	سجلماسة
—	٣	٣	درعة
—	٢	٢	لمطة
—	١	١	بلاد القبلة
٢١	١٣٦	١٥٧	المجموع

كما توضح الجداول الآتية المناطق التي هاجر منها ثمانية وعشرون متصوفا إلى المغرب الأقصى ، والمناطق التي استقروا فيها بعد الهجرة. وقد وفدوا من المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والأندلس.

أولا : المتصوفة الذين قدموا من المغرب الأدنى :

المدينة التي هاجروا منها	العدد	المدينة التي استقروا فيها
القبروان	١	اغمات وربكة
تونس	٣	استقر اثنين في اغمات وربكة واستقر الآخر في مراكش
صفافس	٣	اغمات وربكة
توزر	١	سجلماسة
المجموع	٨	

ثانيا : المتصوفة الذين قدموا من المغرب الأوسط :

المدينة التي هاجروا منها	العدد	المدينة التي استقروا فيها
تلمسان	٣	فلس مراكش سجلماسة
بنى حماد	١	فلس
بجاية	٢	مراكش رجرجة
المجموع	٦	

ثالثا : متصوفة الأندلس الذين استقروا فى المغرب الأقصى :

المدينة التى هاجروا منها	العدد	المدينة التى استقروا فيها
اشبيلية	٢	مراكش
سرقسطة	١	مراكش
غرناطة	١	مراكش
شرس	١	مراكش
لبله	١	مراكش
شلب	٢	قصر كتامة
		وفاس
بلنسية	١	فاس
الأندلس	٥	قصر كتامة
		فاس
		واغمات
		وعدد ٢ فى مراكش
المجموع	١٤	

إذا كان التصوف قد شمل كل البيئات والانحاء فى المغرب الأقصى، فإن صوفيته أيضا انتسبوا إلى أغلب القبائل التى سكنته، سواء أكانت قبائل بترية أو برنسية^(٢٤) أو قبائل عربية. مما يعنى أن التصوف لم يكن مرتبطا بقبيلة دون

(٢٤) عن القبائل البترية والبرنسية انظر: ابن خلدون : العمر ح-٦، ص ١٦٧، من ص ٢٢٩ إلى ص ٢٣٦، ص ٢٦٢ .

ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٣، ص ٤٩٥ .

أخرى. أما القبائل البترية التي انتشر التصوف بين أفرادها فهناك قبيلة زناتة (٢٥)، وجراوة (٢٦)، وهى بطن لقبيلة زناتة (٢٧). كما انتسب إلى طريق التصوف أفراد من مطفرة، ومغيلة (٢٨)، ومطماطه (٢٩).

أما القبائل البرنسية التي انتمى أفرادها إلى طريق التصوف فهناك المجموعة الصنهاجية التي تضم صنهاجة (٣٠)، ولطة (٣١)، وجزولة (٣٢). أما شعب المصامدة فهناك العبيد من قبائله التي انضوى أفراد منها فى سلك التصوف، كقبيلة هسكورة التي تقطن إقليم هسكورة (٣٣)، وآصاده (٣٤) التي استوطنت شمال بلاد السوس الأقصى (٣٥)، كما استقروا فى إقليم حاحة (٣٦) الذى سكنه

(٢٥) التادلى : مصدر سابق، ص ١٩٢، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣٩٥.

(٢٦) التادلى : مصدر سابق، ص ١٥٨، ٢٣٩، ٢٤٩ - الكتانى : مصدر سابق، ص ٣٦٤.

(٢٧) ابن حزم : مصدر سابق، ص ٤٩٦.

(٢٨) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٨٤، ص ٣٠٢.

(٢٩) المصدر السابق، ص ٤٠٧.

(٣٠) المصدر السابق، صفحات ١١٨، ١٢٣، ٢٠٩، ٢٣٣، ٣٠٧، ٣١١.

الكتانى : مصدر سابق، ص ٢١٨ - السلاوى : الاستقصا، ص ٢٨، ٦٨، ص ١٨٤.

(٣١) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٤٤.

(٣٢) المصدر السابق، ص ٢٧٧، ٢٨٩، ٣٢٧.

(٣٣) المصدر السابق، ص ١٣٣، ١٥٢، ٢٩١.

ابن الموقت : مرجع سابق، ص ١، ص ٣٨.

(٣٤) التادلى : مصدر سابق، ص ١٩٤، ٢٦٦.

(٣٥) ابن خلدون : العبر، ص ٦١، ص ٤٦١.

(٣٦) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٨٢.

المصامدة^(٣٧)، واستقروا فى إقليم دكالة^(٣٨) موطن المصامدة^(٣٩) وانتشر التصوف أيضا بين أفراد قبيلة هزرجه^(٤٠) التى استوطنت بالقرب من أغمات^(٤١) وقبيلة هزميرة^(٤٢)، التى استقرت بالقرب من مراكش^(٤٣). كما انتشر التصوف بين أفراد من قبائل هواة^(٤٤)، وأوربة^(٤٥)، وفند لاوة^(٤٦).

ولم يقتصر التصوف على القبائل البربرية التى استوطنت فى المغرب الأقصى، إذ نجد أفراد ينتسبون إلى القبائل العربية التى سكنت المغرب الأقصى، منذ أيام الفتح يسلك بعض أفرادها طريق التصوف. فمن قراءة لأسماء هؤلاء المتصوفة يتضح انتسابهم إلى قبائل عربية، فالى قبيلة قريش انتسب عدد من الصوفية منهم أبو الحسن على بن خلف بن غالب القرشى المتوفى عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م^(٤٧)، وأبو سهل القرشى^(٤٨)، وأبو الحسن عبد الله بن عبد الملك البليانى القرشى^(٤٩).

(٣٧) ابن سعيد : الجغرافيا: تحقيق إسماعيل العربى، بيروت ١٩٧٠. ص ١٢٥.

(٣٨) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠.

(٣٩) ابن خلدون : مصدر سابق، ح ٦، ص ٤٦١.

(٤٠) ابن الموقت : مرجع سابق، ح ١، ص ١٢٤.

(٤١) الأدريسى: نزهة المشتاق، ح ١، ص ٢٣٦.

(٤٢) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٣٣.

(٤٣) المراكشى : المعجب، ص ٣٤١.

(٤٤) ابن الموقت : مرجع سابق، ح ١، ص ٢٦٥ ح ٢، ص ١١٦.

(٤٥) التادلى : مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٤٦) المصدر السابق : ص ٣٣٥، ابن الموقت: مرجع سابق، ح ١، ص ٧١.

(٤٧) المصدر السابق، ص ٢٢٨، السلاوى: الاستقصا، ح ٢، ص ١٨٧.

ابن القاضى: مصدر سابق، ح ٢، ص ٤٦٨.

(٤٨) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٠٨.

(٤٩) المصدر السابق، ص ٢٣٦.

ومن قبيلة حذام الصوفي أبو عبد الله محمد بن شعيب الجذامي المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م^(٥٠) ومن الفهرين أبو الصير أيوب بن عبد الله الفهرى المتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٣م^(٥١).

ومن المدينة المنورة هناك أبو الحسن بن محمد الانصارى المتوفى عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م^(٥٢)، وأحمد بن خالص الانصارى المتوفى قبل عام ٦٠١هـ / ١٢٠٤م^(٥٣) وأبو يعقوب الحكيم يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصارى المتوفى عام ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م^(٥٤). ومن اللخمين هناك أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي^(٥٥).

على أية حال لقد انضوى في سلك التصوف أفراد انتسبوا إلى المجموعات القبلية البربرية بالإضافة إلى القبائل العربية.

وهناك سؤال يطرح نفسه هل يمكن عقد مقارنة بين أعداد متصوفة المغرب الأقصى الذين عاشوا في العصر المرابطي، والذين عاشوا في العصر الموحدى؟ من الصعب الإجابة على هذا السؤال لتوالى العصرين فعام ٥٤١هـ / ١١٤٦م هو عام سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين. كما أن هناك أعداداً من المتصوفة

(٥٠) المصدر السابق، ص ٣٩٨.

(٥١) المصدر السابق، ص ٤١٥، ابن قنفذ: انس الفقير، ص ٣٢.

ابن القاضي: مصدر سابق، ص ١٦٨.

(٥٢) التادلى: مصدر سابق، ص ٣٧٧، ابن بشكوال: صلة الصلة، ج ١، ص ٢٠٠.

- ابن الموقت: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٨.

(٥٣) التادلى: مصدر سابق، ص ٤١١. ابن الموقت: مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٠.

(٥٤) المصدر السابق ص ٤٠٤، العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٩٠.

(٥٥) المصدر السابق، ص ٤٣٩.

عاشوا في العصرين المرابطي والموحدي فعلى سبيل المثال لا الحصر من المتصوفة الذين عاشوا في العصرين، أبو الفضل بن أحمد بن محمد بن عبد الله السجلماسي المتوفى عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م^(٥٦).

والصوفي أبو عبد الله بن محمد بن عمر الاصم المتوفى عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م^(٥٧). والصوفي أبو عبد الحليم يعقوب بن هارون الصديني المتوفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م^(٥٨) وأبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن المتوفى عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م^(٥٩) وعلى بن إسماعيل بن حزمهم المتوفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م^(٦٠). والصوفي أبو يعزى يلنور بن ميمون المتوفى عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين^(٦١) أى أنه ولد تقريبا عام ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م وبذلك عاش أبو يعزى العصر المرابطي كله وواحداً وثلاثين سنة من العصر الموحدى. والصوفيان أبو عمران موسى بن وجادير الدكالي المتوفى عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م وقد زاد عمره على المائة عام^(٦٢)، والصوفي أبو ينور ووران بن يكطيف

(٥٦) التادلي: مصدر سابق، ص ١٥٣.

(٥٧) المصدر السابق، ص ١٥٥ - ابن القاضي: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٠.

(٥٨) للمصدر السابق، ص ١٦٦.

(٥٩) للمصدر السابق، ص ١٦٧.

(٦٠) السلاوى: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٤. ابن قنفذ: انس الفقير، ص ١٣.

(٦١) التادلي: المصدر السابق، ص ٢١٣، ٢١٤، العباس بن إبراهيم: الإعلام،

ج ١، ص ٤٠٦.

السلاوى: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٧.

(٦٢) التادلي: مصدر سابق، ص ٤٣٧.

ابن ابي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط ١٩٧٢، ص ٤٩.

الدغوغى المتوفى عام ٦١٣هـ / ١٢١٦ م وقد عاش نحواً من مائة وعشرين سنة^(٦٣) ويعنى ذلك انهما عاشا زمن الدولتين المرابطية والموحدية. وإذا كنا نقر صعوبة تحديد أعداد متصوفة كل عصر فإننا نعتقد أن أعدادهم كانت أكبر فى عصر الموحدين من عصر المرابطين، كما إنضم إلى التصوف العديد من الطبقات .

(الطبقات التى سلك طريق التصوف :

لم يقتصر التصوف على طبقة معينة داخل مجتمع المغرب الأقصى. فقد ضم التصوف أفراداً من كل الطبقات، ومن كل الأعمار، ومن الجنسين. فسلك هذا الطريق بعض الأمراء والعمال وأرباب الدولة ، وأفراد من الحرفيين زراع وصناع وتجار، وأفراد من مثقفى المجتمع وعلمائه. كما اجتذب التصوف أفراداً من أهل السوء إلى الطريق بعد أن جعلهم يقلعون عن ذميم الأفعال وسوء الأعمال.

فمن أمراء صنهاجة الذين سلكوا الطريق أبو زكريا بن يوغان المتوفى عام ٥٣٧هـ / ١١٤٢ م، سلكه على يد أبى محمد عبد السلام التونسي الذى نجح فى أن يذهب عنه الكبر والزعامة، بأن أمره أن يجمع حزمه من الخطب ويتجه بها إلى سوق المدينة ويبيعها. وأمره أيضاً بخلع اللثام من وجهه كعادة المرابطين^(٦٤). كما كان أبو محمد صالح بن عمر من أرباب الدولة، فزهد فى الدنيا وسلك طريق التصوف^(٦٥). ومن عمال الدولة الذين دخلوا فى طريق التصوف وردوا المظالم إلى أهلها فى المدن التى عملوا بها، أبو محمد عبد الله بن عبد الملك^(٦٦)، وأبو زيد عبد الرحمن المتوفى عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م^(٦٧).

(٦٣) التادل : مصدر سابق، ص ٤٢١.

(٦٤) المصدر السابق، ١٢٣.

(٦٥) المصدر السابق، ص ٢٥٠.

(٦٦) المصدر السابق، ص ١٣٧، ٢٣٦.

(٦٧) المصدر السابق، ص ٤٣٤.

كما انتشر التصوف بين أفراد مارسوا كافة أوجه النشاط الاقتصادي، من زراعة، ورعى، وصناعة وتجارة. يتضح هذا فى دراسة المتصوفة وحياتهم الاقتصادية، فى مجتمع المغرب الأقصى^(٦٨). وانضم أيضا إلى التصوف العديد من الفقهاء والمحدثين وعلماء الدين^(٦٩) ويتضح ذلك أيضا فى دراسة المتصوفة والحياة الدينية والعلمية.

وكان الدور الإيجابي للتصوف داخل مجتمع المغرب الأقصى، هو جذب عدد كبير من المنحرفين عن السلوك السوى، وإصلاح نفوسهم وتهذيبها. ونحويلهم من عناصر شر داخل المجتمع إلى عناصر خير. أى أن التصوف نجح فى تنقية المجتمع من بعض عناصر السوء، يؤكد ذلك أن أبا يعقوب تصولى بن وابو سكت المحاسبي من بلد دكالة، كان لصا يقطع الطريق، فتاب إلى الله وأقبل على الجهد والاجتهاد فلحق بمرتبة الأفراد^(٧٠) كما كان أبو وكيل ميمون بن تاميمونت الأسود الدكالي، فى ابتداء أمره سارقا، ثم تاب إلى الله تعالى ولحق بالطريق^(٧١). كما كان أبو يحيى أبو بكر بن فاخر العبدري المتوفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م، من أهل السوء، فندم على ما سلف من سوء عمله وسقطاته، فتنجد من ثيابه وخرج من جميع ما كان عنده وأمر أهله بالخروج عما كان بأيديهم، وتصدق بكل ما لم يعلم له مالكا، وأمر أهله وأولاده وبناته بالتجرد^(٧٢).

(٦٨) انظر المتصوفة والحياة الاقتصادية، ص ٩٧ إلى ص ١٠٣.

(٦٩) انظر التصوف والحياة الدينية والعلمية، ص ١٠٧، إلى ص ١٢٩.

(٧٠) التادلى : مصدر سابق، ص ١٣١.

(٧١) للمصدر السابق، ص ٢٣٤.

(٧٢) المصدر السابق، ص ١٧٥.

وهناك من كان من أهل الدعارة ثم تاب إلى الله، وسلك الطريق حتى أصبح من الأولياء^(٧٢) كما كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجي المراكشي المتوفى عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م، مسرفاً على نفسه ثم تاب إلى الله تعالى وندم على ما فات وسلف منه^(٧٤).

وهناك العديد من سلك الطريق كانوا في هو دائم يعملون في الطرب والغناء، فتركوا ذلك وتابوا إلى الله وأقبلوا على العبادة. منهم أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الصنهاجي^(٧٥)، وأبو عبد الله محمد بن موسى الازكاني المتوفى بعد عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م^(٧٦)، الذي أثرت فيه موعظة أبي إسحاق الميورقي الواعظ في فاس ففر إلى الله تعالى^(٧٧). كما دخل الطريق أيضاً من المسرفين على أنفسهم العاملون بضرب الدف والغناء في الأعراس مثل أبي ولجوط تونارت بن اجزام الهزميري المتوفى في حدود عام ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م^(٧٨). وأبي على منصور الصنهاجي من بلد أزموور^(٧٩).

على أية حال لقد ضم التصوف أفراداً من كل طبقات المجتمع كما سلك الطريق أيضاً أفراد من الجنسين. أما وقد سبق الحديث عن المتصوفة من الرجال فكان لزاماً أن نشير إلى المتصوفات في إيجاز.

(٧٢) المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٧٤) العباس بن إبراهيم : الأعلام، ج ٤، ص ١٥١.

ابن الموقت : مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٣.

(٧٥) التادلي: مصدر سابق، ص ٣١١، العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٢.

(٧٦) للمصدر السابق، ص ٣٦٥.

(٧٧) للمصدر السابق والصفحة .

(٧٨) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٣٧٠.

(٧٩) التادلي : مصدر سابق ، ص ٤١٩.

النساء والتصوف :

لم يقتصر التصوف في مجتمع المغرب الأقصى على الرجال، فقد دخلت النساء الطريق وكن من الأفراد. لكن ليس هناك وجه للمقارنة بين أعداد المتصوفة من الرجال وأعداد المتصوفة من النساء. فقد بلغ عدد النساء الذين دخلوا الطريق أربع نساء من بين مائتين وخمسين من صوفية المغرب الأقصى.

ومن أولاهن منية بنت ميمون الدكالي وأصلها من مكناس^(٨٠) ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش وبه توفيت عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م. بعد أن وصلت إلى مرتبة الأفراد^(٨١). وهناك الصوفية فاطمة الأندلسية من أهل قصر كتامة وكانت من الصالحات^(٨٢). وهناك أم محمد السلامة من بلد دكالة وكانت كبيرة الشأن من الأفراد^(٨٣). والصوفية أم عصفور تيعزان بنت حسين الهنتيقي من أهل رباط ملو لاسن، وكانت أيضا كبيرة الشأن^(٨٤).

وإذا كانت كتب الطبقات قد حفظت لنا تلك التراجم الأربعة فقط فإن هناك أعداداً كبيرة لم تذكرها تلك الكتب، يؤكد ذلك أن الصوفية منية بنت

(٨٠) مكناس بينها وبين فاس أربعون ميلا من جهة الغرب ارضها طيبة كثيرة الخيرات
انظر : الحميري : مصدر سابق، ص ٥٤٤.

(٨١) التادلي : مصدر سابق، ص ٣١٦. العباس بن ابراهيم : مصدر سابق، ص ٧،
ص ٣٣٢.

(٨٢) للمصدر السابق، ص ٣٣١.

(٨٣) المصدر السابق، ص ٣٨٧.

(٨٤) للمصدر السابق، ص ٣٨٨.

ميمون الدكالي قالت أنه حضر في رباط شاكرفي أحد الأعوام ألف امرأة من الأولياء^(٨٥).

وإذا كان التصوف قد شمل الرجال والنساء كأفراد فقد شمل أيضاً عائلات من سكان المغرب الأقصى.

عائلات صوفية :

هناك عائلات عديدة سلك بعض أفرادها طريق التصوف مثل عائلة ابن أمغار التي استوطنت مدينة أزموور، وتنسب إلى قبيلة صنهاجة وكان يبتهم بيت خير وصلاح وولاية^(٨٦) وقد دخل الجلد وهو إسماعيل بن سعيد الصنهاجي طريق التصوف ، ثم دخله ابنه أبو جعفر إسحاق بن سعيد الصنهاجي^(٨٧) . وانضم الأحفاد إلى الطريق منهم أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل ويعرف بابن أمغار - أى كبير القوم وشيوخهم - . ووصل إلى مرتبة الأبدال^(٨٨) . وأبو محمد عبد السلام بن ابى عبد الله محمد بن أمغار، الذى انزوى عن الدنيا وأهلها^(٨٩) . وأخيراً كان أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أبى جعفر اسحاق بن أمغار من كبار الصالحين كبير الشأن جليل القدر^(٩٠) .

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

(٨٦) المصدر السابق، ص ٢٠٩ - العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ح ٨، ص ٢١٢ .

(٨٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٠٩، العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، ح ٨،

ص ٢١٢ ، الكتاني : مصدر سابق ، ح ٢، ص ٢١٨ .

(٨٨) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٠٩ . الكتاني : مصدر سابق، ح ٢، ص ٢١٨ .

(٨٩) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٣٣ .

(٩٠) المصدر السابق، ص ٤٢٦ .

وهناك أسرة صوفية ثانية استوطنت مدينة فاس واشتملت على عدد من المتصوفة منهم أبو محمد صالح بن عبد الله بن حرزهم^(٩١)، وأخوه إسماعيل بن محمد عبد الله بن حرزهم الذى كان من كبار الصالحين^(٩٢)، ثم ابنه على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم المتوفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م^(٩٣). كما كان لعلى بن إسماعيل أخ من الصوفية^(٩٤).

والبيت الصوفى الثالث هو بيت الشيخ أبى يعزى يلنور بن ميمون الذى استوطن الأطلس الكبير الأوسط وتوفى عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م^(٩٥)، وسلك ابنه على طريق التصوف أيضاً وكان من كبار الصالحين^(٩٦).

الدرور الاجتماعى لمتصوفة الغرب الأقصى :

لم ينزل المتصوفة فى بلاد المغرب الأقصى عن مجتمعهم، وتدل مواقفهم على أنهم كانوا إيمانيين شاركوا أفراد مجتمعهم همومهم وآلامهم، وسعوا جاهدين لكشف الضوابط عنهم. فقد تمسكوا بتعاليم الكتاب والسنة التى تحت على التكافل والتعاون عن طريق البذل والإنفاق لإسعاف المنكوبين وإراحة المتعبين عملاً بقوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم

(٩١) ابن القاضى : مصدر سابق، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

(٩٢) ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ١٢.

(٩٣) المصدر السابق، ص ١٢ .

(٩٤) التادلى : مصدر سابق، ص ١٦٨ - ١٦٩.

ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ١٢.

(٩٥) التادلى : مصدر سابق، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٩٦) للمصدر السابق ، ص ٢٣١.

الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴿١٧﴾ وعملًا بقول رسوله الكريم " من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة " (١٨). وعلى ذلك فقد كان لهم دور في الرعاية الاجتماعية وخصوصًا في الأزمات الاقتصادية التي كانت تصيب المجتمع وتحدث مجاعات عانى منها الفقراء والمساكين.

(أ) دور المتصوفة في المجاعات :

أسهم المتصوفة في التخفيف عن أفراد مجتمعهم في المجاعات التي تعرضوا لها. فالصوفي أبو حفص عمر بن معاد الصنهاجي الذي كان من أهل بلد أزموور والمتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م. كان كبير الشأن في هذا المضمار فقد أعان الناس وساعدهم حين أتت عليهم المجاعة عام ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م، حيث جمع خلقاً كثيراً من المساكين كان يقوم بمؤنتهم وينفق عليهم، حتى زالت المجاعة وعم الرخاء (١٩).

والمتصوف أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي المتوفى عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م قام بالتخفيف عن كاهل الناس في المجاعة التي حدثت في مدينة مراکش حين جمع الفقراء الذين يجامع على بن يوسف ، وأخرج لهم سمنا وقمحا كان عنده وفرقه عليهم حتى لم يبق له منه شيء (١٠٠). كما كان أبو زكريا يملك

(٩٧) سورة المنافقون آية ١٠.

(٩٨) البخاري : صحيحه.

(٩٩) التادلي : مصدر سابق ، ص ١٨٧.

(١٠٠) التادلي : مصدر سابق، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

ابن القاضي : مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤٢.

فى مدينة فاس قمحا فى غرفتين، قام بتوزيعه على المساكين عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م، وانصرم العام ولم يبق من ماله شئ^(١٠١).

وسار على سياسة البذل والإنفاق أيضاً الصوفى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوى - نزيل مدينة فاس وبها توفى عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م - فقد دخل مدينة فاس ومعه حوالى أربعين ألفاً من الدنانير ولم يزل ينفقها فى سبيل الخير حتى لم يبق له غير دار ثم باعها. وكان يملك ألف صفحة من قمح فأصابت أهل فاس مجاعة، فباع جميع ذلك بوثائق وأخرجهم فى السداد إلى أجل، فلما حل الأجل استدعاهم وحل الوثائق فى الماء. وقال لهم "انتم فى حل وما بعث الأمن الله ولكن احتلت عليكم بالبيع إلى أجل"^(١٠٢).

ومتصوف آخر هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الهوارى من أهل أغمات وربكة، كان عبداً صالحاً كثير الإيثار والصدقات توفى قبل عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م وظهر فضله فى عام مجاعة شديدة حينما اضطرت امرأة أن تبيع دارها لشدة الحاجة فأدخله الدلال ليشتريها بخمسمائة دينار. ولما علم أن ضيق ذات اليد هى السبب فى بيع هذه المرأة لدارها، قام وبعث إلى المرأة هذا المبلغ وأرسل إليها يخبرها: "أن الدار باقية على ملكك والمال مالك فانتفعى به فلنا بعته لتسدى به فافتك"^(١٠٣).

(١٠١) التادل : مصدر سابق، ص ٢٤٦.

الكثانى : مصدر سابق، ح ٣، ص ١٥٣.

(١٠٢) التادل : مصدر سابق، ص ٣٣٢. السلاوى : مصدر سابق، ح ٢، ص ١٩٠.

الكثانى : مصدر سابق، ح ٣، ص ٢٦٧.

(١٠٣) التادل : مصدر سابق، ص ١٥٣.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ح ٢، ص ٥٧.

على أية حال لم يقتصر دور للتصوفة فى مساعدة أفراد مجتمعهم فى
الأزمات الاقتصادية فقط بل كان مستمراً فى مجال الخث على الصدقات
والإحسان العام إلى الفقراء.

(ب) الخث على الصدقات والإحسان العام :

إن التكافل والرعاية الاجتماعية لدى الصوفية سلوك للتقرب إلى الله والعمل
على مرضاته ودعماً لهذا الدور فقد قاموا بالخث على الصدقة والإحسان العام إلى
الفقراء، كما جاء بالقرآن الكريم ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (١٠١). ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (١٠٥). وكان هؤلاء التصوفة قدوة طيبة فى هذا المجال.
فالصوفى ابو محمد يسكر بن موسى فقيه مدينة فاس المتوفى عام ٥٩٨ هـ /
١٢٠١ م قال " فى هذا المضمار طلبنا التوفيق فوجدناه إطعام الطعام " (١٠٦) . كما
أن أبا العباس أحمد بن محمد بن يوسف وهو من أهل سلا ومات قبل عام ٥٤٠ هـ /
١١٤٥ م كان ذا مال فتصدق بجميعه لأصحاب الحاجة (١٠٧) وقام الصوفى أبو
زكريا يحيى بن إبراهيم بن عبد الله التادلى المتوفى عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٥ م بإنفاق
ماله كله فى سبيل الخير حتى لم يبق له شئ (١٠٨).

(١٠٤) سورة التوبة آية ٦.

(١٠٥) سورة البقرة آية ١٧٧.

(١٠٦) ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ٢٣. ابن القاضى: مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٦٢.

(١٠٧) التادلى : مصدر سابق، ص ١٦٥.

(١٠٨) المصدر السابق، ص ٢٤٨.

كما كان أبو العباس السبتي عطوفاً محسناً إلى المساكين واليتامى والأرامل فكان يجلس حيث أمكنه الجلوس في الأسواق والطرق ويحضر الناس على الصدقة ويأتى بما جاء في فضيلتها من الآيات والآثار، فتنهال عليه الصدقات فيوزعها على المساكين وينصرف^(١٠٩). ويقوم مذهب أبى العباس السبتي في التصوف على الحث على الصدقة وكان يرد سائر أصول الشرع إليها^(١١٠).

كما كان الصوفى أبو محمد صالح بن واندلوس وأصله من تارودانت واستوطن مراكش واغامت وريكة واستقر أخيراً بالسوس الأقصى وتوفى بعد عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م. لا يمسك شيئاً مما يقع في يده من أموال ولما وصل إلى بلدة تارودانت تصدق على المساكين بجميع ماورثه عن أبيه من الأملاك ولم يتمسك بشئ. وفي فترة إقامته بمراكش كان الفقراء لا يفارقون منزله، فتارة يخرج إليهم بصدقات وتارة يرمى إليهم الدراهم من بين الأبواب^(١١١).

والتصوف أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السلاجى - وهو من أهل الجانب الشرقى من مراكش توفى عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م - كان لا يبيت وعنده مال معلوم يركن إليه فكان يسعى حتى يتصدق به، وكان عندما يمشى يطرح عليه أثرياء المنطقة أنواع الثياب، فيطرحها هو على الفقراء ويبقى بمرقعة^(١١٢).

كما باع الصوفى أبو عمران موسى الصاريونى أرضاً كانت له وتصدق بثمرتها على المساكين^(١١٣) والصوفى أبو على حسن بن على المطفرى المؤذن الذى

(١٠٩) أحمد بابا : نيل الابتهاج، ص ٧٢. السلاوى: الاستقصا، ج ٢، ص ٢٣٥.

(١١٠) التادلى : مصدر سابق، ص ٤٥٣.

(١١١) للمصدر السابق، ص ٣٤٧ - ٣٤٩. العباس بن إبراهيم: الإعلام، ج ٧، ص ٣٤٢.

(١١٢) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

(١١٣) للمصدر السابق، ص ٢٨٨.

نزل في الجانب الشرقي من مراکش، كان بعد أن يأخذ أجرته نظير عمله يبقى منها شيئا لقوته ويتصدق بالباقي على المساكين^(١١٤).

وتتعدد وجوه البر والإنفاق في سبيل الله لمتصوفة المغرب الأقصى فمنهم الصوفي أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي المتوفى عام ٥٨١ هـ / ١١٨٦ م الذي كان يتفقد مكاتب الصبيان ليعطف وينفق على أبناء الأيتام والفقراء^(١١٥).

والصوفي أبو عبد الله التاودي المعلم الذي كان من أهل فاس وتوفى عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م، كان يملك مكتبا لتعليم الصبيان، فكان لا يأخذ الأجر من أولاد الفقراء ويرد عليهم ما يأخذه من أجر من أولاد الأغنياء وبلغ في عطفه وإحسانه عليهم أنه كان يغسل أثواب الصبيان ويغيطها. إذا احتاجت إلى ذلك ولا يأخذ على ذلك أجراً^(١١٦). وهناك من حبس فدانا للفقير مولى المسلمين^(١١٧). بل هناك من تصدق على فقراء أهل الزمة، فقد تصدق الصوفي عبد الجليل بن ويحسان المتوفى عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م بحبة ثمنها عشرة دنانير لنصراني مره^(١١٨).

أمثلة كثيرة نمثلنا بها المصادر توضح جهود هؤلاء المتصوفة في أعمال البر والخير تأكيد المبدأ التكافلي الاجتماعي والرعاية الاجتماعية الذي يأمرنا به الإسلام.

(١١٤) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج٣، ص ١٣٤.

(١١٥) التادل : مصدر سابق، ص ٢٤١.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج٣، ص ٥٩.

(١١٦) التادل : مصدر سابق، ص ٢٧٢.

الكناني : مصدر سابق، ج٣، ص ١١٠، السلاوي : مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٨.

(١١٧) التادل : مصدر سابق، ص ٣٦٩.

(١١٨) المصدر السابق، ص ١٥٠.

وهو سلوك اتبعه المتصوفة لشعورهم بأنهم مسئولون عن راحة الجماعة وسعادتها، ولذلك كانوا يسعون في مصالح الضعفاء من ذلك ما قام به أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجي - الذي استوطن مدينة فاس وتوفي عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م - من المرور على الأبواب فيجد النساء قد أخرجن الخبز لمن يحمله إلى القرن فيحمله لمن (١١٩). كما كان أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن الدلال يخدم أهل المحلة التي كان يسكن فيها، ويتصرف في حوائج الضعفاء ويستسقى الماء للأرامل، ويحمل لمن الخبز إلى القرن (١٢٠).

المتصوفة والقيم الاجتماعية :

من تصفح أخلاق وسلوك المتصوفة العملي نجد أن لهم دورا في الحث على التمسك بقيم الإسلام النبيلة واتباع الفضيلة، فكانوا قدوة طيبة لأفراد مجتمعهم. والقدوة هي الوسيلة التي يتمكن بها المصلح الاجتماعي من أداء رسالته. ولذلك كانوا قدوة لجماهير الشعب في الزهد وترك زخارف الدنيا بعدم الانغماس في اللهو والملذات. ويقول أحد المتصوفة "أن ترك الدنيا للدنيا شر من أخذها" (١٢١). ولا يعنى الزهد هنا عند الصوفية الحرمان مما أحله الله تعالى، لكنه يعنى عدم الانغماس في الماديات ولذلك كان الزهد عندهم هو حبس النفس عن الملذات

(١١٩) التادلي : مصدر سابق، ص ١٩٨، ٢٠١.

الكثاني : سلوة الانفس، ج ٢، ص ١٨٣.

(١٢٠) ابن الموقت : السعادة الأبدية، ج ٢، ص ١١٦.

العباس بن إبراهيم : الإعلام ج ٩، ص ٧٣.

(١٢١) أبو مدين : شرح حكم المعارف بالله أبي مدين للشيوخ أحمد بن عبد القادر،

القاهرة ١٢٩٧هـ، ص ١٠٢.

وامساكها عنها فالزهد على الحقيقة هو صرف رغبة القلب إلى الله وتعلق الهمة به والاشتغال به عن كل شيء (١٢٢) وقد غلب الزهد والتقشف في الحياة الدنيا على صوفية المغرب الأقصى (١٢٣). وأثر هذا الأسلوب في الحياة داخل المجتمع مما كان له أكبر الأثر في تهذيب النفس البشرية، والسمو الخلقى لأفراد هذا المجتمع. جدير بالذكر أن بعض الصوفية تطرفوا في زهدهم في الدنيا ولم يتزوجوا قط (١٢٤).

كما غرسوا في مجتمعاتهم المحبة في الله، وليس لغرض من أغراض الدنيا الزائلة ويتضح ذلك في علاقة شيوخ التصوف بعضهم ببعض وعلاقة شيوخ التصوف بالمريدين (١٢٥).

ومن القيم التي غرسوها أيضاً في المجتمع إعانة المحتاجين والضعفاء تنفيذاً لأمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى وعلى فعل الخير وترك الشر وقد ضرب المتصوفة القدرة الطيبة في هذا السلوك كما سبق القول (١٢٦).

كما حاربوا الكبر داخل المجتمع وحثوا الأفراد على التواضع الذي يرفع من منزلة الإنسان، لأن التكبر على الناس منازعة لله تعالى في كبريائه وذلك تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا

(١٢٢) ابن العريف : عاين المجالس، ص ٧٧.

(١٢٣) التادلي : مصدر سابق ، صفحات ١٠٦، ١٠٨، ١٠٣، ١٤٥، ١٨١، ٢٠٥، ٢٣٠، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٥.

(١٢٤) للمصدر السابق، ص ١٠٩، ٢٣٣، ٤٠٧، ٤١٠.

(١٢٥) للمصدر السابق، ص ١١٨، ١٥٦، ١٧٠، ١٩٢.

الصفدي : الوافي بالوفيات ، ح ٨، ص ١٣٣.

ابن الأبار : المعجم في أصحاب القاضي أبي علي ، ص ١٨، ٢٠.

(١٢٦) انظر صفحات ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧.

فساداً (١٢٧) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " أن الله أوصى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" (١٢٨). ويقول قطب التصوف أبو مدين: "لا ينفع مع الكبر عمل" (١٢٩) ومن أراد من المريدين أن يلحق بأهل الطريق، فلا بد أن يزيل ما به من الكبر (١٣٠).

ومن القيم الاجتماعية التي كان للمتصوفة الفضل في إبرازها الإيثار، ويعنى إيثار الإنسان لغيره فيما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا. وهذا من أعلى درجات المعاملة مع الناس (١٣١) لأن خلق الإيثار يجعل أفراد المجتمع يعيشون في تعاون ومحبة ووثام .

كما حرص المتصوفة على نصر المظلوم لأن الظلم مهلك لعامة الناس فتحتم عليهم التعاون على دفعة . ويضح هذا في تشفعهم للرعايا عند الحكام لرفع الظلم عنهم، والتصدى لمولاء الحكام إذ لم يميلوا عن الظلم (١٣٢).

كما كان المتصوفة قدوة لأفراد مجتمعاتهم في بغض الفواحش والتمسك بقيم الدين السامية إذا كانوا يحرمون على عدم الاختلاط بالنساء والاختلا بهن (١٣٣)

(١٢٧) سورة القصص الآية ٨٣.

(١٢٨) انظر : صحيح مسلم. الأحاديث التي جاءت في التواضع مجلد ٤، ج ٨، ص ٢١، ص ٣٦.

(١٢٩) أبو مدين : شرح حكمه، ص ١٧.

(١٣٠) التادلي : مصدر سابق، ص ٢٥٤.

(١٣١) المصدر السابق، ص ١٥٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ص ٣٣٢.

ابن القاضي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤٢. الكتاني: سلوة الانفاس، ج ٣، ص ١٥٣، ٢٦٧.

(١٣٢) انظر صفحات ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥.

(١٣٣) التادلي : مصدر سابق، ص ١٥٩.

وغض البصر عنهن في الطرقات (١٣٤)، لأن الله نهى عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى ﴿ لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ (١٣٥).

وأخيراً من القيم الاجتماعية التى أشاعوها فى المجتمع بسلوكهم، تحرى الحلال والحرام فى كل معاشهم (١٣٦) والابتعاد عن الشبهات فالحلال بين ، والحرام بين.

على أية حال فإن المتصوفة لم يأتوا فى ذلك بمبادئ وقيم جديدة فهى قيم ومبادئ إسلامية أصيلة وجدت فى مجتمع المغرب الأقصى منذ انتشار الإسلام بين أفرادهم. وقد تمسك المتصوفة بهذه القيم فى سلوكهم داخل المجتمع لأنها قيم إسلامية من هدى الكتاب والسنة. وقد رفعت هذه القيم من مكانتهم الاجتماعية داخل مجتمع المغرب الأقصى فى عصرى المرابطين والموحدين.

مكانة الصوفية الاجتماعية ودخل المجتمع :

حاز المتصوفة المغاربة احترام عامة الشعب لهم، فقد أحلوهم وأحلوهم مكانة رفيعة ومنزلة عالية. وكما أشرنا سابقاً فقد كانت لهم منزلة رفيعة أيضاً عند الحكام من سلاطين وعمال. وترجع هذه المكانة إلى أنهم كانوا سنداً لأفراد مجتمعهم ضد مظالم السلطة السياسية، فقد لجئوا إليهم للدفع ما ألم بهم من المظالم. كما كانوا الملاذ الذى يلجأ إليه أفراد المجتمع فى الأزمات الاقتصادية، بفضل جهدهم فى مجال الرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعى كما سبق القول.

(١٣٤) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٥٩. العباس بن إبراهيم : الأعلام، ج ٨، ص ٣٥.

(١٣٥) سورة الأنعام / ١٥١.

(١٣٦) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٣٩.

وهناك العديد من المظاهر التي تؤكد ارتفاع مكانتهم الاجتماعية وتعلق الشعب بهم منها أن عامة الشعب كانوا يتجمعون حول الصوفية طالين الدعاء والبركة، فالصوفي عبد الجليل بن وجلان كانت دار سكناه قرية من الجامع، فلذا صلى الجمعة انصرف إلى منزله ولم يكن يصل إلا وقت العصر من كثرة ما يتجمع حوله من الناس (١٣٧) وقد حسده أحد القضاة على هذه المنزلة وعلى اجتماع الناس عليه (١٣٨).

ومن مظاهر تبجيلهم أيضا أن هناك حالات كثيرة كان الأهالي يحرسون فيها على خدمتهم ومساعدتهم في زراعة أراضيهم أو حصادها، لكنهم كانوا يرفضون كل المساعدات لتقديرهم لقيمة العمل (١٣٩). ونظراً لارتفاع مكانتهم الاجتماعية. وتعلق الناس بهم على هذا النحو فقد كان كثير من الأهالي يأتون إليهم من بلدان بعيدة لزيارتهم. وكان أهالي القرى القريبة يستضيفون الواصلين لزيارتهم ويتبركون بهم (١٤٠).

على أية حال نستطيع أن نؤكد أن متصوفة المغرب الأقصى شكلوا طبقة اجتماعية كان لها وزنها وثقلها داخل المجتمع، كما كانوا عنصراً فعالاً في كل أوجه الحياة الاجتماعية.

وإذا كنا قد استعرضنا دورهم الاجتماعي على هذا النحو فقد جاء الدور لاستعراض دورهم في النشاط الاقتصادي داخل مجتمعاتهم.

(١٣٧) التادلي : مصدر سابق ص ١٤٧.

(١٣٨) للمصدر السابق، ص ١٤٧، ١٤٨.

(١٣٩) للمصدر السابق، ص ١١٣، ص ٢٠١.

(١٤٠) للمصدر السابق، ص ٢٢٢.

الفصل الرابع

المتصوفة والنشاط الاقتصادى

- ١ - المتصوفة والعمل.
- ٢ - المتصوفة والعمل الزراعى والرعى .
- ٣ - المتصوفة والعمل بالصيد وتربية النحل.
- ٤ - المتصوفة والعمل فى الحرف والصناعات.
- ٥ - المتصوفة والعمل التجارى.

التصوفة والعمل :

للعمل في الإسلام مكانة مرموقة، فهو قيمة أساسية من قيم المجتمع المسلم، ويمنح اليد العاملة توقيراً وفضلاً كبيراً، ويقول الله عز وجل ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾^(١)، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن العمل للدنيا من الدين، وأنه شيمة الأنبياء والمرسلين سواء كان هذا العمل زراعياً، أو صناعياً، أو تجارياً. ويقول عليه الصلاة والسلام : ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده^(٢) .

لقد فهم صوفية المغرب الأقصى هذه المعاني التي جاءت في الكتاب، والسنة النبوية كما أنهم فهموا صلة الصوفى بمجتمعه. فهم لم يقرروا أن يعيش الصوفى عالة على غيره، ولذلك قد روى قيمة العمل فكانوا يعملون ويكسبون رزقهم، وفي الوقت ذاته لا يصرفهم ذلك عن طاعة الله وعبادته. فالكسب عندهم فضيلة تحرر الإنسان من ذل المسألة، ويعني الكسب أن يكون الصوفي مشغولاً بشتى الحرف، والتجارات، وغير ذلك مما أباحتها الشريعة على تيقظ، أو تثبيت بعيداً عن الشبهات، وقد تمسكوا بهذه المعاني وعاشوا من كد أيديهم^(٣).

وأمدتنا المصادر بالأعمال التي مارسها صوفية المغرب الأقصى ، وقد تعددت هذه الأعمال فشملت الزراعة، والرعى، والصناعة، والتجارة، وغيرها من الحرف.

(١) سورة التوبة آية ١٠٥ .

(٢) انظر : صحيح البخارى الأحاديث التي جاءت في فضل العمل.

(٣) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٤٨.

التصونة والعمل الزراعى والرعى :

قام متصوفة المغرب الأقصى بالعمل فى زراعة أراضيهم، وقاموا بجميع العمليات الزراعية من حرث، وحصاد ودرس. فكان أبو محمد حميس بن أبى زرح الرجراجى الأسود يملك أرضاً يقوم بزراعتها وخدمتها بنفسه، وكان لا يأكل إلا من عمل يده تقديراً لقيمة العمل. وفى أحد الأعوام استحق فداناه الحصاد فتواصى قتيان القرية على حصاده دون أن يعلموه، فأقبل أبو محمد وقد رأهم قد حصدوا جزءاً من فداناه فقال لهم : كفوا بارك الله فيكم فقالوا له : ما حصدنا إلا طائعين مترعين فقال لهم : يكفيكم ما حصدتم فعسى أن تجمعوه فجمعوا ما حصدوا، وحازوه بموضع واحد فغزله وتصدق به وكره أن يأكل مما عملوه من غير أجره^(٤).

كما كان للصوفى أبى محمد مع الله بن يحيى من بلاد تادلا المتوفى عام ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ م بستان يخدمه بنفسه^(٥)، ولأبى محمد جلداسن بن إسحاق المتوفى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ م بستان أيضاً يخدمه بنفسه ولا يخدم له أحد^(٦).

وكان أبو عبد الله يلا سيف الرجراجى يقوم بأعمال الزراعة فى أرضه، ويخدمها بنفسه^(٧) وغيرهم كثير من الصوفية الذين كانوا يعملون فى زراعة أراضيهم^(٨).

(٤) التادلى : التشوف، ص ١١٣ .

(٥) المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(٦) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠١ .

(٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٥٧ .

(٨) المصدر السابق، ص ٣٧٦ ، ص ٤٠٠ .

وهناك من المتصوفة من كان لا يملك أرضاً لزراعتها، لكنهم كانوا يعملون بالأجر في أراضي غيرهم. منهم أبو الحسن على الصنهاجي من أهل تادلا الذي كان يعيش من حراسة البساتين، والحصاد، وأنواع الخدمة الأخرى^(٩). وحين احتاج أحد ملاك الأراضي إلى حصاد في وقت الحصاد ألتمس أجراً علي الحصاد، فوجد الصوفي عبداً لله الجزولي من أهل سجلماسة والمتوفى في حدود عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، فاستأجره فحصد له زرعه ثم استعمله كل عام في حصاد أرضه^(١٠). كما مارس صوفية المغرب الأقصى أيضاً العمل الرعوى فقد كان لأبي زكريا يحيى بن موسى المليحي من بلد رجرجة، أبقار يتولى رعايتها بنفسه، وحين سافر إلى المشرق للحج استأجر راعياً ليقوم بالرعى مكانه^(١١). كما كان أبو يعزى يلنور المتوفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م يعمل راعياً^(١٢). وحديث بالذكر أن هؤلاء المتصوفة كانوا يثخون الرعاة ومن يملك الدواب ألا يجعلوا هذه الدواب ترعى في أرض الغير لأن ذلك مخالفاً للشرع^(١٣)، ولم يكتفوا بالنصح والإرشاد، بل ضربوا المثل، والقُدوة الطيبة لأفراد مجتمعاتهم. فمن المتصوفة من كانت له أبقار إذا حملها من داره لترعى، جعل على فمها كمادة لثلا ترعى في أرض أحد، فإذا وصل إلى أرضه أزال الكمادة عن فمها، وجعلها ترعى في أرضه، فإذا أراد أن يعود إلى داره أعاد الكمادة وساقها إلى داره^(١٤).

(٩) التادلي : مصدر سابق، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(١٠) للمصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(١١) للمصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(١٢) للمصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(١٣) للمصدر السابق ، ص ٢٥١ .

(١٤) للمصدر السابق ، ص ١٣٤ .

المتصوفة والعمل بالصير وتربية النحل :

مارس حرفة الصيد الصوفى أبو حفص عمر بن معاد الصنهاجى من بلد أزموور المتوفى عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م ، وكان يصطاد السمك من سواحل البحر المحيط ، ويقطت بذلك ، كما كان يقوم بجمع عسل النحل من البرية^(١٥) . وكان أبو موسى الدكالى من أهل سلا يجمع ما يلفظه البحر من مباح الأكل فيبيعه ويشترى بثمانه خبزاً^(١٦) . وعمل أيضاً بحرفة الصيد الصوفى أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجى من بلاد تادلا ، وبها توفى عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م . وبالإضافة إلى ذلك كان هذا الصوفى يتخذ خلايا النحل ، ويقوم ببيع العسل للإتفاق على نفسه والتصدق على الفقراء^(١٧) .

المتصوفة والعمل فى الحرف والصناعات :

تعددت الحرف التى مارسها صوفية المغرب الأقصى مما يؤكد مشاركتهم بإيجابية فى النشاط الحرفى فى المجتمع . فقد كان الصوفى أبو عمران موسى بن يدراس الحلاج يعمل حلاجاً للقطن فى مدينة فاس^(١٨) . وكان أبو عبد الله الصوفى يعمل خياطاً^(١٩) . كما عمل بحرفة الحياكة أيضاً الصوفى أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن الصنهاجى الجباب الأزموورى المتوفى عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م^(٢٠) .

(١٥) التادل : مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

(١٦) للمصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

(١٨) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(١٩) التادل : مصدر سابق ، ص ٢٥٧ .

(٢٠) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

وهناك من المتصوفة من تخصص في صناعة الأطباق مثل أبي الحسن على بن زكريا الأسود^(٢١). وتخصص البعض في صناعة القدور مثل أبي زكريا بن يحيى بن ميمون الصنهاجي من بلد أزموور وبها توفي عام ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، وكان هذا الصوفي يصنع القدور ويبيعها ويشتري بثمانها شعيراً فيطحنه بيده ويخبزه ويأكل منه^(٢٢). كما كان الصوفي أبو ويعزان بيريدن بن ويسدن الأيلائي المتوفى عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م، يعمل أيضاً في صناعة القدور، وكان يقتات بثمانها^(٢٣).

أما الصوفي أبو سعيد عثمان اليرصجي من بلد دكالة وتوفى في حدود ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، كان يقوم بعمل أحجار الأرحاء التي تستخدم في طحن الحبوب^(٢٤).

ومن الحرف التي عمل بها صوفية المغرب الأقصى حرفة دبغ الجلود فقد كان أبو علي حسن بن علي المطغري المتوفى عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م يعمل بدبغ الجلود، وإذا أراد أحد أن يستأجره على دبغ الجلود يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى انتقض وضوءه، وأن يصلي الظهر والعصر في الجماعة^(٢٥).

المتصوفة والعمل التجاري

عمل بعض المتصوفة في النشاط التجاري من بيع وشراء فكان الصوفي أبو جبل يعلى من أهل فاس وتوفى عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م جزائراً بفاس وكان يتورع

(٢١) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٦٨.

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٢٣) المصدر السابق، ص ٤٣١. العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٩٦.

(٢٤) التادلي : مصدر سابق ، ص ٣١٩.

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٢، ص ١٣٤.

فى البيع والشراء، فلا يشتري الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسيهم. وكان يخرج إلى دكانه بالسوق بعد صلاة الضحى، وكان يساعده فى دكانه مريدوه الذين كانوا يذبحون له الغنم ويعدونها للبيع^(٢٦).

كما كان لأبى إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجى - وهو من أهل الجانب الشرقى من مراكش وتوفى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م - دكاناً لبيع الإسفنج والهريسة فإذا حصل من ثمن بيعها وربحها ما يكفيه ويكفى أصحابه أطعم المساكين بقية ما تبقى عنده من الهريسة^(٢٧). كما كان أبو يعقوب يوسف بن على المؤذن من أهل داي وتوفى عام ٥٥٧هـ / ١١٦١م، يعمل عطاراً، وله دكاناً فى سوق مدينة داي^(٢٨).

كما كان أبو محمد عبد الواحد بن تومرت المسكورى الأسود يبيع الخضروات فى السوق فى قفه، وكان يرفض اتخاذ دكاناً فى السوق ويقول "إذا حانت الصلاة توضأت ودخلت المسجد ووضعت قفتى عند ساريه، وإذا اتخذت دكاناً وحانت الصلاة ومررت إلى المسجد يوسوس إلى الشيطان، ويقول : لعلك سرق لك شيء فلا يصفو لى خاطرى فى الصلاة"^(٢٩).

على أية حال فإن مشاركة صوفية المغرب الأقصى فى أوجه النشاط الاقتصادى المختلفة توضح أنهم فهموا أن التصوف الصحيح لا يرضى بحال أن

(٢٦) التادلى : مصدر سابق، ص ١٠٢. الكنانى : مصدر سابق، ج ٣ ص ١٦٢.

(٢٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٤١، ٢٤٢.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٩.

(٢٨) التادلى : مصدر سابق، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢٩) المصدر السابق، ص ٣٥٩.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨، ص ٥٠٨.

تصرف العبادات أصحابها عن طلب الرزق والكسب. فالزهد أن يزهد الصوفى فيما يملكه بكده وكسبه الحلال فيتصدق به على فقراء المسلمين، وليس الزهد أن يزهد المرء فيما لم تصل إليه يده، ولم يدخل فى ملكه. ولذلك لم يعيش هؤلاء المتصوفة عالة على مجتمعهم فالعمل كما فهموه واجب شرعى لعمارة الأرض، وللمساعدة المحتاجين من الناس مما يلزمه هذا العمل من كسب حلال.

الفصل الخامس

المتصوفة والحياة الدينية والعلمية

أولا : المتصوفة والحياة الدينية .

- ١ - الأثر الروحي للمتصوفة فى المجتمع.
- ٢ - بناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها.
- ٣ - جهود دينية أخرى للمتصوفة.

ثانيا : المتصوفة والحياة العلمية .

- ١ - الحرص على تعلم العلم.
- ٢ - الدور العلمى للمتصوفة وأهم العلوم التى نبغوا فيها.
- ٣ - المتصوفة والتعليم.

أولاً : المتصوفة والحياة الزمنية :

١ - الأثر الروحي للمتصوفة في المجتمع :

كان هؤلاء المتصوفة أثر روحي في مجتمعهم فقد أشاعوا روح الزهد كما أنهم كانوا أهل تقوى وورع عنوا بتربية النفس، وتهذيب الروح على نهج الكتاب، والسنة. وقد تأسى أفراد المجتمع بهم في زهدهم وسلوكهم وتقواهم، وكانوا قمة في محاسبة أنفسهم وفي خشية الله في سرهم وعلايتهم وفي حفظ الجوارح، وبذلك هموا أنفسهم ومجتمعهم من الرذيلة.

وبقراءة تراجم المتصوفة في الفترة الزمنية للدراسة، نجد أنهم كانوا أهل زهد وتقشف^(١)، ونجحوا في جذب الكثير من أفراد المجتمع إلى الطريق لأنهم جعلوا التصوف مقبولاً في مجتمعهم لأنه تصرف مبنى على أساس الكتاب والسنة، ولم يتفلسفوا، ولم يمزجوا بين تصوفهم والأفكار الأجنبية الدخيلة على التصوف الإسلامي فلم نجد منهم من ادعى عقيدة الحلول، والفناء، أو وحدة الوجود، وبهذا السلوك الذي اتبعوه أصبحوا قدوة صالحة لأفراد مجتمعهم.

٢ - المتصوفة وبناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها :

كان للمتصوفة في المغرب الأقصى نشاط ديني يتمثل في قيام بعضهم ببناء العديد من المساجد لدورها الديني والثقافي في حياة المجتمع، ولحثة سبجانه وتعالى الناس على عمارة المساجد في قوله الكريم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا

(١) التادلي : مصدر سابق، ص ١١٨، ١٣٢، ١٤٥، ١٦٨ .

١. ابن الموقت : السعادة الأبدية، ج ١، ص ١٠٩، ١٢٩، ١٥٠ .

السلامي : مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٨، ٦٩، ١٨٤ .

من المهتدين^(٢)، ولذلك نشط الصوفية في بناء المساجد، من أمثلة ذلك ما قام به أبو زكريا يحيى بن محمد الجراوى، وهو من بلاد تادلا من بناء مسجد عند موضع الحواتين على وادى وانيسيفن من بلاد تادلا^(٣). أما الصوفى أبو حفص عمر بن ميكسوط المتوفى عام ٥٤٦هـ / ١١٥٠ فقد بنى مسجداً فى منطقة تافرن من بلد بنى دغوغ من إقليم دكالة، وقد دفن فيه بعد وفاته^(٤). كما بنى الصوفى أبو نعيم عبدالواحد الأسود تلميذ أبى يعزى مسجداً يقع على بعد أميال من مدينة مكناسة، ولما مات دفن فى رحبة ذلك المسجد^(٥).

كما تولى عدد من المتصوفة القيام بالوظائف الخاصة بالمساجد فمنهم من تولى وظيفة المؤذن، ومن أمثلة الذين تولوا هذا العمل أبو يعقوب يوسف بن على المؤذن وهو من أهل داي وبها مات عام ٥٥٧هـ / ١١٦١م وقد أذن فى صومعة داي أربعين سنة، ماطلع عليه الفجر ألا وهو على الصومعة، وكان جهر الصوت يسمع صوته من مسافات بعيدة^(٦)، وكان أبو محمد عبد الله بن أحمد وهو من أهل الجاناب الشرقى من مراكش وبها مات عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م يعمل مؤذناً فى مسجد أبى مروان بمراكش^(٧). كما عمل الصوفى أبو على حسن بن على المطغرى مؤذناً أيضاً فى أحد مساجد مراكش^(٨).

(٢) سورة التوبة آية ٩.

(٣) التادل : مصدر سابق، ص ١٣٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤١.

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٦٩.

(٦) للمصدر السابق، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٧) ابن اللوات : السعادة الأبدية، ج ١، ص ١٣٢.

(٨) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨، ص ١٩٨.

أما وظيفة إمامة الناس في الصلاة فقد شغلها أيضاً بعض المتصوفة منهم الفقيه لقمان السايوري وهو هسكوري جليل القدر ، وقد أم الناس في جناح و طاس بأغमत وريكة نحواً من أربعين عاماً أو خمسين ما سها قط في صلاة من تلك الصلوات إلا يوماً واحداً^(٩). كما تولى أبو زيد الإمام الفريضة بجامع أغमत وريكة^(١٠)، ثم تولى الإمامة بعده في نفس هذا الجامع الصوفي أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن مؤمن المرادي^(١١).

كما تولى بعض المتصوفة وظيفة الوعظ والخطابة في المساجد، والرباطات منهم الصوفي أبو محمد عبد الحلیم بن إسماعيل الأيلاني وهو من مراكش وتوفي عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م، وكان حسن الموعظة سريع الدفعة يقصده المريدون ويجمعون عنده، فنفع الله به خلقاً كثيراً^(١٢). كما كان الصوفي أبو عبد الله محمد بن أحمد اللحى المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م واعظاً بجامع القصر في أيام الجمع، وكان حسن الموعظة طيب النغمة دائم العبرة، وقد تاب على يديه من أراد الله به خيراً وانتفع به^(١٣).

(٩) التادلي: مصدر سابق، ص ٣٨٤. العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٧٤.

(١٠) التادلي : مصدر سابق، ص ١١٣، ١١٤.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٧٤.

(١١) ابن الموقت : مرجع سابق، ج ١، ص ٦٩.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٠.

(١٢) التادلي : مصدر سابق، ص ٣١٣. العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨،

ص ٣٥.

(١٣) التادلي : مصدر سابق، ص ٤٣٩، ٤٤٠.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٤، ص ١٧٣.

ومن المتصوفة الذين وعظوا في الرباطات أبو محمد بن موسى الدغوغى وهو من بلد دكالة وتوفى بها عام ٦٠٥هـ / ١٢١٨م، وقد عمر مائة وعشرين سنة وكان واعظاً يرباط شاكراً^(١٤).

كما قام الصوفى أبو ولجوط تونارت الحزميرى وهو من بلد نفيس وبها مات عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م بوعظ المصامدة فى الرباطات بمواعظ لا يهتدى إليها الخطيب المصقع، وحين وعظ المصامدة فى رباط عقبة من بلد نفيس تكلم بلسانهم ووعظهم موعظة بليغة، وزهدهم فى الدنيا^(١٥).

وتعددت الجهود الدينية لمتصوفة المغرب الأقصى فالصوفى أبو محمد عبد الله بن حريز وهو من أهل فاس وبها توفى عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م كان ينسخ المصاحف بيده، ويعطيها لمن يراه أهلاً لها^(١٦)، وصوفى آخر يشجع حملة القرآن، والعاكفين على قراءته بأن يدفع لهم ما يكسبه^(١٧). كما كان هؤلاء الصوفية لا يفترون عن تلاوة القرآن^(١٨). ومن الجهود الدينية الأخرى لمتصوفة المغرب الأقصى نشر الإسلام وتعليم شرائعه، وهذا ما قام به الصوفى أبو يحيى أبو بكر بن محيو الصنهاجى المتوفى بأغلمات وريكة عام ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م فقد جاز إلى بلاد دكالة ودخل جزائر بحر المغرب الأقصى ولعله يقصد بها الجزر الخالدات^(١٩)، ونفع

(١٤) التادلى : مصدر سابق، ص ٤٠٢.

(١٥) المصدر السابق، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

(١٦) ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص ٢٧٢.

ابن القاضى : مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٠.

الكنانى : سلوة الأنفاس، ج ٣، ص ١٧٤.

العيسى بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨، ص ٢٠٥.

(١٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(١٨) المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(١٩) انظر هامش لمحقق كتاب النشوف، ص ٤٠٣.

الله به خلقاً كثيراً حيث حدثوا عنه أنه قال : " وجدت في جزائر بحر المغرب أقواماً لا يعرفون الإسلام فعلمت الرجال والنساء ولم أفارقهم حتى كانوا يصلون ". كما دخل بلاد السودان زمن دولة مالى الإسلامية، ويدلو أنه كانت له نفس تلك الجهود فى نشر الإسلام حتى عاد إلى بلاده (٢٠) .

ثانياً : التصوف والحياة العلمية :

شارك صوفية المغرب الأقصى فى تنمية الحركة العلمية فى مجتمعهم زمن المرابطين والموحدين فقد حرصوا وهم فى بداية الطريق على السعى فى طلب العلم. فأجتهدوا فى التعلم حتى وصلوا إلى مكانة علمية مرموقة تشهد بها آثارهم العلمية وجهودهم الثقافية. وقد حثت مؤلفاتهم على طلب العلم بالإضافة إلى كتب المشاركة التى أثرت فى تصوفهم. فالغزالي على سبيل المثال يتحدث عن فضل العلم، ويذكر فى بداية حديثه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التى توضح فضل العلم (٢١) يذكر قوله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (٢٢) ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٢٣)، ثم يقول أيضاً فى فضل العلم : " العلم هو الدليل

(٢٠) المصدر السابق، ص ٤١٠، ٤١١.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ١، ص ٤٠٥.

(٢١) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٦.

(٢٢) سورة المجادلة آية ١١/.

(٢٣) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٩.

الأحاديث التى جاءت فى فضل العلم انظر :

البخارى : صحيحه، ج ١، ص ٢٢-٤٥.

على الدين، ومنار سبيل الجنة، فهو حياة القلوب من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجّد وبه يتورّع وبه يعرف الحلال من الحرام" (٢٤). كما يذكر أن الإشتغال بالتعليم أفضل من الإشتغال بالأذكار وبالأوراد (٢٥).

وصوفية المغرب الأقصى أنفسهم أكدوا في كتاباتهم، وأقوالهم على أهمية العلم فالصوفى ابن العريف الطنجى يتحدث عن فضل المعرفة موضحاً أهميتها فى العبادة ولسالك الطريق (٢٦). أما قطب التصوف أبو مدين فيقول: "أضر الأشياء صوفى جاهل" فالصوفى الجاهل ليس بصوفى، والصوفى الجاهل ميل وانحراف (٢٧). ويقول أيضاً: "انفع العلوم العلم بإحكام العبد" يعنى أن أنفع العلوم العلم بالأحكام الشرعية. فمن استقام على كتاب الله وسنته اتضحت له سبل طريقته وتفتحت له عين بصيرته (٢٨). كما يذكر أيضاً "أرفع العلوم علم التوحيد" (٢٩). ويحث أيضاً على الأخذ بالعلوم الفقهية فيقول: "من اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وابتدع" (٣٠). ويشجع أبو مدين على نشر العلم فيقول: "من سمع العلم ليعلم الناس أعطاه الله فيما يعرف به الناس" (٣١). وأخيراً قال أحد شيوخ

(٢٤) الغزالي: مصدر سابق، ج ١، ص ١١.

(٢٥) للمصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٩.

(٢٦) عاصم المجالس، ص ٧٥.

(٢٧) شرح حكم أبى مدين، ص ١٠.

(٢٨) المصدر السابق، ص ١٤.

(٢٩) للمصدر السابق، ص ١٥.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣١) للمصدر السابق، ص ٤٥.

التصوف لمريد أراد أن يسلك الطريق "إن الله لا يعبد إلا بالعلم" (٣١). لذلك نجد حرص صوفية المغرب الأقصى على تلقي العلم، فنتعوا في كتب الطبقات بأنهم من أهل العلم والعمل (٣٢)، وكان حرصهم على ذلك كبيراً.

١ - حرص الصوفية على تعلم العلم :

كان حرص صوفية المغرب الأقصى على التزود بالعلم أمراً ضرورياً لأن الله لا يعبد إلا بالعلم، كما أن أضر الأشياء كما قال أبو مدين : صوفى جاهل.

على أية حال فقد وجد منهم من تلقى العلم في موطنه، ومنهم من اتجه إلى المشرق لهذا الغرض. ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين تلقوا العلم في موطنهم أبو محمد أبو الأمان المسكوري المتوفى عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، وقد درس الفقه وهو في بداية الطريق على يد عبد العزيز التونسي (٣٤) بأغمات (٣٥). كما تفقه أبو محمد عبد الله بن زيري الزناتي المتوفى عام ٥٧٦هـ / ١١٧١م على أبي موسى الرفروفي (٣٦). كما درس الفقه أيضاً أبو وكيل ميمون الوريكي على محرز

(٣٢) التادلي : مصدر سابق، ص ٣٢٢.

(٣٣) المصدر السابق، صفحات ١٣٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٨، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٥،

٢٢٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٦، ٢٦٧، ٣١٤، ٣٣٢.

(٣٤) أبو محمد عبد العزيز التونسي أصله من تونس واستقر بأغمات وبها مات عام

٤٨٦هـ / ١٠٩١م أخذ الفقه عن أبي عمران الفاسي، وأبي إسحاق التونسي ودرس الفقه.

التادلي : مصدر سابق، ص ٩٢.

(٣٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢.

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢.

أبو موسى الرفروفي من بلاد تادلا، وبها مات كان من العلماء له رحلة إلى المشرق

كان متفرغاً لتعليم العلم والعبادة. التادلي : مصدر سابق ، ص ١٠٨، ١٠٩ .

الصفافسي(٣٧). أما الصوفي أبو أحمد محمد عبد الغفور بن يوسف الإيلاني المتوفى بأغمت عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م فقد تفقه على يد القاضي أبي يوسف حجاج بن يوسف(٣٨) . كما أخذ أبو عبد الله مالك بن مروان - من بلد ايلان وتوفى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م - العلم بمراكش عن أبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير والإمام أبي بكر بن العربي(٣٩). أما الصوفي أبو علي سالم بن سلامة السوسي وهو من تارودانت، فقد سافر إلى مدينة فاس وبها درس الفقه على يد

(٣٧) للمصدر السابق ، ص ١٩٣.

عزز الصفافس نزل بأغمت وريكة كان من العلماء الأفاضل أخذ عنه أهل أغمات.

التادلي : مصدر سابق ، ص ١٦١.

(٣٨) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٥١، ٢٥٢.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨ ، ص ٤٥٠.

القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف قاض الجماعة بمراكش أصله من ناحية بجاية،

ودخل الأندلس وتوفي بمراكش سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٤.

انظر ابن الأبار : التكملة، ج ١ ، ص ٢٧٩.

(٣٩) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٦٦.

يوسف بن موسى الكلبي الضرير أصله من سرقسطة سكن مراكش وبها توفي عام

٥٢٠هـ / ١١٢٥م من أئمة المغرب في علم الاعتقادات .

انظر التادلي : مصدر سابق ، ص ١٠٥، ١٠٦،

أبو بكر بن العربي له رحلة حال ببلاد الشرق وأخذ عن أبي الطاهر السلفي وغيره كما

أخذ بمدينة فاس على ابن حرز هم الصوفي وجماعة كثيرة ألف في التصوف توفي عام

٦٣٦هـ/١٢٤٨م.

ابن القاضي : مصدر سابق، ج ١ ، ص ٢٨٠، ٢٨١.

محمد بن عيسى الميلاني^(٤٠)، واتجه إلى أغمات وتفقّه أيضاً على يد ابن شبونة^(٤١)، وكذلك عبد السلام بن ومال الجراوى واتجه أخيراً إلى سجلماسة واستوطنها، وبها توفى عام ٥٨٩ / ٥٩٠ هـ / ١١٩٢، ١١٩٣ م^(٤٢)، وأخيراً من المتصوفة الذين تلقوا العلم فى موطنهم أبو محمد يسكر بن موسى الجراوى الذى نشأ بتادلا، ونزل مدينة فاس وتفقّه بها على أبى خزر^(٤٣)، وحضر مجالس أبى الربيع التلمساني وتوفى بفاس عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م^(٤٤).

وهناك من متصوفة المغرب الأقصى من شد الرحال إلى المشرق لتلقى العلم، ومن أمثلة ذلك الصوفى أبو جبل يعلى، وهو من أهل فاس وبها توفى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٨ م فقد سافر إلى مصر وحضر مجالس أبى الفضل عبد الله بن حسن الجوهري الذى كان يعظ، ويفقه الناس فى جامع عمرو بن العاص، وكان

(٤٠) على بن محمد عيسى الميلاني من حفاظ منقب مالك كان مشاوراً بفاس أيام المرينيين. انظر : ابن الأبار : التكملة، ص ٩٣١.

(٤١) ابن شبونة : هو عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدى أحد حفاظ منقب مالك كان مدرسا ومفتيا فى أغمات وبها توفى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م. انظر : ابن الأبار : معجم أصحاب الصلفي، ص ٢١٤.

(٤٢) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٨٣.

(٤٣) هو يخلف بن خزر الأوربي الفاسي كان حافظاً للمسائل ورعاً صالحاً توفى عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٤ م. انظر : أحمد بابا : نيل الإبتهاج، ص ٦٣٩.

ابن القاضى : مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٦١.

(٤٤) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

أحمد بابا : مصدر سابق، ص ٦٤٠، ابن القاضى : مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٦٠.

قبل سفره يجلس فى المسجد إلى حلقة الفقه والذكر^(٤٥). كما سافر أبو موسى عيسى بن سليمان الرافضى وهو من بلاد تادلا إلى المشرق، وأخذ عن الشاشى^(٤٦)، وعن الطرطوشى^(٤٧)، وغيرهما، وبعد ذلك عاد لوطنه وتفرغ لتعليم العلم والعبادة^(٤٨). كما رحل إلى المدينة المنورة وتفق به أبو الحسن على ابن أحمد بن يوسف من بلد تادلا، وتوفى بها عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م^(٤٩).

٢ - الدور العلمى لمتصوفة المغرب الأقصى وأهم العلوم التى نبهوا فيها:
لقد ازدهرت الحياة العلمية فى المغرب الأقصى بفضل جهود هؤلاء المتصوفة الذين برعوا فى كافة فروع العلوم الدينية من قراءات، وحديث، وعقيدة، وفقه، وتصوف. كما كان هناك من نظم الشعر الصوفى مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار الأدب بالإضافة إلى ذلك قام هؤلاء المتصوفة بمجهود تعليمى فى المكاتب الخاصة بتعليم الأطفال.

(٤٥) التادلى : مصدر سابق، ص ١٠٢، ١٠٣.

الكثانى : سلوة الأنفلس ، ج ٣ ، ص ١٦٢.

ابن القاضى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٦٠.

(٤٦) الشاشى هو أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالمستظهرى، فقيه شافعى درس بالنظامية إلى حين وفاته سنة ٥٠٧هـ / ١١١٢م.

انظر ابن حلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٢١٩.

(٤٧) الطرطوشى هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الأندلسى المالكى نزيل الأسكندرية وأحد الأئمة الكبار توفى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٥م.

انظر النهي : العبر فى خبر من غبر، ج ٤ ، ص ٤٨.

(٤٨) التادلى : مصدر سابق، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٩.

أولاً : علوم القرآن الكريم :

يعتبر أبو العباس بن العريف الصنهاجي المتوفى عام ٥٣٦هـ / ١١٤١م من القراء المجديين^(٥٠) إذ كانت له عناية فى القراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها^(٥١).

وهناك أيضاً الصوفى أبو واجاج عفان بن إسماعيل المظماطى، وأصله من تامسنا واستقر بالجانب الشرقى من مراكش وبه مات عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م كان من أئمة العلم بالقرآن الكريم، وكان أكثر جلوسه بمسجد بئر الجنة، ومن أراد من المصامدة أن يجود عليه القرآن قصده^(٥٢).

ثانياً : علم الأصول والعقيدة :

يعد الصوفى أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضريير- أصله من سرقسطة ثم انتقل إلى العدو وسكن مراكش وبها توفى سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٥م - من أهل التبحر والتقدم فى علم التوحيد والاعتقاد^(٥٣)، وهو آخر أئمة المغرب

(٥٠) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٩.

(٥١) ابن خلكان : مصدر سابق، ج ١، ص ١٦٩ .

العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٢، ص ١١٢.

العباس إبراهيم : مصدر سابق، ج ٢٢ ، ص ٦.

(٥٢) التادل : مصدر سابق، ص ٤٠٧.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٥ ، ص ١٤٨.

(٥٣) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٦٤.

ابن الفرضى : بغية اللتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، بحريط ١٨٨٤ ،

ص ٤٧٧.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ١٠، ص ٣٠٨.

فيما أخذَه عن أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي^(٥٤) من علوم الاعتقادات، وكان مختصاً بها، والمرادي هو أول من أدخل علوم الاعتقاد بالمغرب الأقصى^(٥٥).

أما الصوفي أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجلي - الذي قدم مراكش واستوطن فاس وتوفي بها عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م - فهو إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد، وقد قرأ كتاب الإرشاد في العقيدة على يد أبي الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي^(٥٦) الذي كان له بصر وخبرة بكتاب الإرشاد وقام أبو عمرو بتعليم العلم في فاس محتسباً^(٥٧).

ومن علماء علم الاعتقاد من متصوفة المغرب الأقصى أبو العباس أحمد بن عبيد الرحمن الصنهاجي الأزمووري المتوفى عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م^(٥٨). كما كان أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن العطار الفاسي المتوفى عام ٦٠٤هـ /

(٥٤) أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي أصله من القيروان ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٤م من الفقهاء الأصوليين.

انظر: العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢.

(٥٥) التادلي: مصدر سابق، ص ١٠٦.

(٥٦) ابن الأشبيلي على بن محمد غليل كان حافظاً للفقهِ نافذاً على أصوله قدم من المرية على الموحدين ونال عندهم حظوه سكن مراكش وبها مات ٥٦٧هـ / ١١٧١م.

انظر: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج ٥، ص ٣٠٤.

ابن القاضي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧٩، ٤٨٠.

العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، ج ٩، ص ٥٩.

(٥٧) التادلي: مصدر سابق، ص ١٩٨.

ابن القاضي: مصدر سابق، ص ٤٥٨.

(٥٨) التادلي: مصدر سابق، ص ٣١٤.

١٢٠٧م عارفاً بالأصلين "أصول الدين وأصول الفقه" (٥٩)، وعارفاً بعلوم الاعتقادات (٦٠).

ثالثاً : علم الحديث :

يعد الشيخ الفقيه على أبو الحسن على بن غالب من علماء الحديث فقد قرأ عليه الشيخ أبو مدين أثناء إقامته في مدينة فاس كتاب السنن لأبي عيسى الترمذي (٦١). كما كان الصوفى على بن إسماعيل بن حرزهم الفاسى عارفاً بالحديث (٦٢). أما الصوفى القطب أبو مدين فقد كان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي الذي كان قائماً عليه (٦٣). كما كان أبو الصيرايوب بن عبد الله الفهرى محدثاً راوية (٦٤).

رابعاً : الفقه :

اشتهر عدد كبير من متصوفة المغرب الأقصى بأنهم فقهاء. فالفقه من العلوم الشرعية التي سعوا إلى دراستها لأن من اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وابتدع. وجدير بالذكر أن هؤلاء المتصوفة كانوا على الفقه المالكي الذي انتشر في سائر أنحاء المغرب وساد. ويرجع ذلك إلى بساطة المجتمع المغربي فليس من شأن

(٥٩) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغاة، الطبعة الأولى، القاهرة

١٩٦٥، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٦٠) التادلي : مصدر سابق، ص ٤٣٥.

(٦١) التادلي : مصدر سابق، ص ٣٢٢. ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ١٤.

(٦٢) ابن القاضي : مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٦٣) ابن مريم : البستان، ص ١٠٨.

(٦٤) ابن القاضي : مصدر سابق، ج ١، ص ١٦٨.

المذهب المالكي استخدام الرأى أما القياس ففي آخر درجة، وأما الكتاب والسنة فهما أساس المذهب على عكس مذهب أبى حنيفة الذى يسلك طريق الجدل والرأى واستخدام العقل ولا يسلم بشيء حتى يسلمه العقل. كما كان مسلمو المغرب وطلبتهم على الأخص ينظرون إلى علم المدينة وعلمائها نظرة من يتمثل فيها وفيهم رمز الإسلام^(٦٥).

أما صوفية المغرب الأقصى الذين تفقهوا حسب المذهب المالكي فمنهم الفقيه لقمان السايوى وهو من هسكورة وكان فقيها جليل القدر^(٦٦). كما كان الصوفى أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان المتوفى عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م فقيهاً درس الفقه للناس ثلاثين سنة محتسباً مع شدة فقره وفاقته^(٦٧).

أما الصوفى على بن إسماعيل بن محمد بن حرزهم الفاسى المتوفى عام ٥٥٩هـ / ١١٦٣م، فقد كان فقيهاً حافظاً للفقه^(٦٨)، كما كان يقوم بإقراء العلم وتدرسه ولذلك استدعاه أحد أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ منه^(٦٩). كما نعت الصوفى أبو تونارت ولخوط الايلاتى بأنه من أهل الفقه^(٧٠) ومن فقهاء مدينة

(٦٥) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٩.

(٦٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ١١٣.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٤.

(٦٧) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٩.

(٦٨) المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩.

ابن القاضى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٤.

(٦٩) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢.

(٧٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٦٤.

مجهول : كتاب فى ذكر مشاهير اعيان فاس ، تحقيق عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمى بالرباط، المجلدان الرابع والخامس، يناير ١٩٦٥، ص ٨٢، ٨٣.

فاس على بن خلف بن محمد غالب المتوفى عام ٥٦٩هـ / ١١٧٢م^(٧١)، والصوفي
يخلف بن خزر الأوربي المتوفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م الذى كان فقيهاً مدرساً
مفتياً إماماً حافظاً لمسائل المذهب^(٧٢). ومن كبار فقهاء المغرب الأقصى الصوفي
أبو حمديرجان بن محمد الجزولى الذى كان بصيراً بذهب الإمام مالك بن أنس
وقد أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن ياسين فقيه المصامدة^(٧٣). وقام الصوفي أبو
على يغمور بن خالد بتدريس الفقه^(٧٤).

أما الصوفي أبو على عمر بن عمران السماطى فقد كان من كبار المشايخ
وفقيهاً^(٧٥)، وبلغت منزلة الصوفي شعيب بن الحسن الأندلسى أبو مدين المتوفى
٥٩٠هـ / ١١٩٢م فى الفقه منزلة كبيرة فقد كانت ترد عليه المسائل فى مذهب
مالك فيجيب عنها^(٧٦). وأخيراً من المتصوفة الذين تفقهوا وارتفعت مكاتبتهم فى
الفقه فقيه مدينة فاس أبو محمد يسكر بن موسى الجوارى المتوفى عام ٥٩٨هـ /
١٢٠١م والذى كان إماماً عالماً فى الفقه المالكى، أخذ عن أبى خزر يخلف
الأوربي وكان آية فى الفقه^(٧٧).

(٧١) ابن القاضى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٨.

(٧٢) التادلى: مصدر سابق ، ص ١٧٧. ابن القاضى: مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٥٦١.

(٧٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٦٧.

(٧٤) المصدر السابق ، ص ٢٨٦. مجهول : مفاخر البربر ، ص ٧٠.

(٧٥) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٧٤.

(٧٦) ابن مريم : مصدر سابق ، ص ١٠٨. ابن قنفذ: مصدر سابق ، ص ١٦ - ١٧.

(٧٧) مجهول : كتاب ذكر مشاهير اعيان فاس، ص ٨٢.

ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ٢٣.

ابن القاضى : مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٥٦٢ ، ٥٦٣.

على أية حال كان علم الفقه على أساس المذهب المالكي من العلوم الشرعية التي اهتم صوفية المغرب الأقصى بدراستها حتى أصبحوا فقهاء ومدرسين للفقه على أساس هذا المذهب.

علم التصوف :

وجد عدد من متصوفة المغرب الأقصى كان لهم دراية كبيرة بعلم التصوف حتى ألفوا فيه الكتب، والمثال على ذلك هو الصوفي أبو العباس بن العريف المتوفى عام ٥٣٦هـ / ١١٤١م صاحب كتاب محاسن المجالس في علم التصوف. كما كان له غيره من الكتب المتعلقة بطريقة القوم^(٧٨). ومن ألف أيضاً في علم التصوف أبو مدين المتوفى عام ٥٩٠هـ / ١١٩٢م ، فقد ألف فيه كتاب بعنوان "أنس الوحيد ونزهة المرید"^(٧٩) ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التصوف في هذه البلاد.

ومن علماء التصوف أيضاً أبو عبد الله البقاع السجلماسي وكان من كبار مشائخ الصوفية وكان يقول أنا أول من أخذ عنه أبو مدين علم التصوف، وكان الدقاق إماماً في ذلك^(٨٠). كما كان أبو محمد عبد الله بن عثمان الصنهاجي -

(٧٨) ابن عربي : الفتوحات المكية، ج ٢ ، ص ٩٢.

ابن حلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٦٩.

(٧٩) انظر شرح كتاب العارف بالله تعالى أبي مدين للعلامة شهاب الدين أحمد عبد

القادر ، القاهرة ١٢٩٧هـ .

(٨٠) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢٧ . الكتاني : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٣ .

Bel : Sidi Bau Medyan et son Meitre El Daggag a Fes, dans Melonges R. Basset, Paris 1923, T1, P31.

المعروف بالزرهونى المتوفى بمراكش عام ٦١٢هـ / ١٢٥٢م - من العلماء بطريق التصوف حافظاً لأخبار الصالحين^(٨١).

المتصوفة والشعر الصوفى :

كان لبعض صوفية المغرب الأقصى منظوم محفوظ فى معانى التصوف. وقد لجأوا إلى نظم الشعر لتحريك وجدانهم الدينى، والمعانى التى قصد إليها الشعر الصوفى كانت صوفية مهما كان الثوب المادى الذى كسيت به^(٨٢). وكان إنشادهم ارتجالاً سريعاً فى مجالس الذكر^(٨٣). وقد حفظت لنا المصادر العديد من هذه المقتطفات الشعرية لهؤلاء المتصوفة من هذا المحصول الأدبى الرائع حتى لا تضيع سدى ولا ينتفع بها أهل التصوف ورجال الأدب فى عصرهم وفى العصور التى تليهم.

ومن للمتصوفة الذين أنشدوا الشعر الصوفى ابن العريف الذى كان له نظم حسن فى طريق التصوف^(٨٤) حتى وصفه ابن عربى بأنه أديب زمانه^(٨٥). وقد تعددت الأغراض التى تناولها فى شعره.

من هذه الأغراض حب أهل الطريق ، يتمثل ذلك فى قوله :

مازلت مذ سكتوا قلبي أصون لهم لخطى وسمعى ونطقى إذ هم أنسى

(٨١) النادلى : مصدر سابق، ص ٤٢٤.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، ج ٨ ، ص ٢١١.

(٨٢) Nicholson, R. : Art Sufis in the Ency of Religion and Ethics

(٨٣) أحمد عبد للنعم عبد السلام : السمو الروحى فى الأدب الصوفى، طبع مصطفى

البابى الحلى ، القاهرة ١٩٤٩، ص ٨.

(٨٤) ابن خلكان : مصدر سابق، ج ١ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠.

(٨٥) الفتوحات للكية ، ج ٣ ، ص ٣٨٥.

حلوا الفؤاد فما أئدى ولو وطئوا صخرأ لجاد بماء منه منبجس
لأنهضن إلى حشرى مجبههم لا بارك الله فيمن خانهم فنسى (٨٦)
ومن شعره يعظ بعض إخوانه فى أبيات له :

إذا ذكر المولى تنسم قلبه وإذا غلبته النفس كاد يذوب
أبى الله أن تدرى ذخائره التى إلى شعبهم من السماء تصوب
هم حسنات الدهر عند كماله ولكنهم عند الأنام ذنوب
محبتهم فرض ورؤيتهم هدى وللذين منهم ألسن وقلوب (٨٧)
ومن شعراء التصوف أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الهوارى من أهل
أغمات وريكة ، وبها توفى عام ٥٤٠ هـ م ١١٤٥ م وله شعر فى مقام التوكل
وهو اعتماد القلب على الله تعالى ، ويساعدهم على التوكل قوة يقينهم بالله
تعالى (٨٨).

ومن شعره فى مقام التوكل :

تعاتبنى فى الجود والجود شيمتى ومالى بإبدال الطباع زعيم
ولم أر مثل الجود أما حديثه فحلوا وأما حبه فقديم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغنى كريم ورب العالمين كريم (٨٩)

(٨٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

ابن الأبار : معجم أصحاب الصلفى ، ص ١٨ .

(٨٧) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٨٨) الكلاباذى : التعرف للمذهب لأهل التصوف ، تحقيق عمود أمين النواوى ، مكتبة

الكليات الأزهرية ، الطبعة الثالثة ، للقاهرة ١٩٩٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٨٩) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٥٣ .

ومن أغراض الشعر التي تناولها صوفية المغرب الأقصى الحب الإلهي فقد نظم
أبو زكريا يحيى بن علي الزواوي المتوفى عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م في الحب الإلهي يقول:
ودع الهوى يقضى عليه بحكمه ما شاء فهو مسلم لقضائه
فشقاؤه فيما تراه نعيمه ونعيمه في ذاك غير شقاؤه
كحلت مآقيه بطول سهاده وحنث أضالعه على برحائه^(٩٠)
ونظم أيضاً أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي الواعظ المتوفى ٦١٤هـ /
١٢١٧م في الحب الإلهي يقول :

غريب الوصف ذو علم غريب عليل القلب من حب الحبيب
إذا ما الليل أظلم قام ييكي ويشكو ما يكن من الوجيب
يقطع ليله ذكراً وفكراً وينطق فيه بالعجب العجيب
به من حب سيده غرام يجمل عن التطيب والطيب
ومن يك هكذا عبداً محباً يطيب تراه من غير طيب^(٩١)
أما أبو العباس السبتي المتوفى عام ٦٠١هـ / ١٢٤٠م فله نظم في مقام
الخوف من الله عز وجل يقول فيه :

رفعوا الأنامل للصلاة وكبروا فبدا الخشوع لخوفهم يترنم
وبدأت سواكب دمعهم مسيولة خوفاً لما قد أخرجوا أوقدموا^(٩٢)
ولأبي العباس السبتي أيضاً نظم في مقام الشوق والخوف من الله^(٩٣).

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٤٢٨ .

(٩١) المصدر السابق ، ص ٤٤٠ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٤٦٣ .

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٤٦٤ .

ومن أغراض الشعر الأخرى لدى صوفية المغرب الأقصى فى فصل العلم، من ذلك ما نظمهُ الصوفى أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجلى المتوفى عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م قصيدة بين فضل العلم بالكتاب، والسنة^(٩٤)، ولأبى مدين نظم فى مقام التوبة والعودة إلى الله^(٩٥). كما كان رثاء إخوان الطريق من أغراض الشعر الصوفى فقد قام الصوفى أبو يعقوب يوسف بن أحمد الأنصارى برثاء أبى العباس السبتي^(٩٦).

ومن المتصوفة الذين كان لهم منظوم فى معانى التصوف أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن العطار المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م^(٩٧). كما اشتهر أبو الصير أيوب الفهرى المتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م بأنه شاعر صوفى^(٩٨). على أية حال فقد تنوعت أغراض الشعر الصوفى إذ تناول موضوعات عديدة منها الحب الإلهى وأحوال القوم على تبيان مقاماتها والوعظ والإرشاد وغير ذلك من الأغراض التى سبقت الإشارة إليها.

٣ - المتصوفة والتعليم :

كان لمتصوفة المغرب الأقصى دور تعليمى داخل المجتمع فكان لواجاج بن زلوا اللمطى من أهل السوس الأقصى دار بناها سماها دار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن^(٩٩). ولمكاناتهم العلمية كان أفراد المجتمع يأخذون عنهم العلم

(٩٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

(٩٦) المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣.

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦.

(٩٨) ابن القاضى : جنوة الأقباس ، ج ١ ، ص ١٦٨.

(٩٩) التادل : مصدر سابق ، ص ٨٩.

فالصوفي على بن اسماعيل بن حرزهم كان يقصده الناس من البلدان المختلفة للقراءة عليه^(١٠٠). فقد لازمه أبو مدين وقرأ عليه^(١٠١). كما أخذ عنه عبد الحميد بن صالح المسكوري^(١٠٢). وقد استدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ عنه^(١٠٣). وكان أبو الصير أيوب بن عبد الله الفهري يجلس بجامع سبتة لتدريس العلم^(١٠٤).

أما الحسن بن غالب وهو من فقهاء فاس كان يقوم بإلقاء العلم بها وقد قرأ عليه أبو مدين^(١٠٥). وكان أيضاً أبو خزر يخلف الأوربي من فقهاء فاس وكان عالماً وقد درس على يده يسكر بن موسى الجورائي الفقه المالكي^(١٠٦).

وكان هؤلاء المتصوفة يتميزون بالأمانة العلمية إذ كانوا لا يقومون بإلقاء العلوم أو إسماعها إلا إذا كانت الأصول موجودة يوضح ذلك أن الصوفي أبا عبد الله محمد بن إبراهيم المهدي نزيل مدينة فاس وبها توفي عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م طلب منه أحد الطلاب أن يحمل ما يحمله من العلوم ويتعلم على يديه ما عنده من علوم فآبى وقال له : "لقد ضاعت أصولي فلا يحل لي أن يحمل عني شيء"^(١٠٧).

(١٠٠) ابن القاضي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٤.

(١٠١) ابن مريم : البستان ، ص ١٠٨.

(١٠٢) ابن القاضي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٧.

(١٠٣) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢٠.

ابن القاضي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٤.

(١٠٤) للمصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨.

(١٠٥) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢٦.

(١٠٦) ابن القاضي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٢.

(١٠٧) التادلي : مصدر سابق ، ص ٣٣٣.

التصوفة والتعليم فى المكاتب :

تعد المكاتب من أهم المنشآت التعليمية التى اختصت بتعليم الصبيان لأن الرسول أمر بتنزيه المساجد منهم^(١٠٨). وقد أسهم متصوفة المغرب الأقصى إسهاماً كبيراً فى التعليم فى مكاتب الأطفال حتى أصبح لهم دور تعليمى هام داخل مجتمعاتهم. منهم أبو يحيى أبو بكر الورياغلى المعلم وهو من أهل سلا، وكان معلماً للقرآن الكريم^(١٠٩). كما كان الصوفى أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى من بلد أزموور وتوفى عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م فى ابتداء أمره معلماً للقرآن بقرية يليسكاون من بلد دكالة وكان يظل واقفاً متكئاً على عصاه، ولا يقعد حتى وقت انصراف الصبيان من المكتب^(١١٠).

أما الصوفى أبو عبد الله التاودى المعلم - وهو من أهل فاس وبها توفى عام ٥٨٠هـ / ١١٩٣م - كان يعلم الصبيان فى مكتبه، وكان أولاد الفقراء يتعلمون عنده بالجمان ولا يأخذ الأجر إلا من أولاد الأغنياء^(١١١). كما قام بتعليم الصبيان

(١٠٨) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، نشر السيد الباز العرينى ، القاهرة

١٩٤٦، ص ١٠٣.

(١٠٩) التادل : مصدر سابق ، ص ١٨٤.

(١١٠) الصومعى : المعزى ، مخطوطة ، ورقة ١١.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ١، ص ٣٩٦.

(١١١) التادل : مصدر سابق ، ص ٢٧٢.

ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٣٠.

السلارى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٨.

الكتانى : مصدر سابق ، ج ٣، ص ١١٠.

أيضاً الصوفى أبو عبد الله محمد بن الأمان الجزولى المعلم، وهو من أهل مراکش، وكان يملك مكتباً لتعليم الأطفال (١١٢).

ولم يقتصر دورهم على تعليم القرآن فى المكاتب بل كانوا يقومون بتلبية مطالب الأباء بتعليم أبنائهم علوماً أخرى فقد طلب أحد أرباب الدولة الصوفى أبا عمرو عثمان بن عبد الله السلاجلى ليقوم بتعليم أبنائه النحو (١١٣).

وهكذا كان لمثوفة المغرب الأقصى دوراً واضحاً فى النواحي العلمية والتعليمية.

(١١٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٤.

ابن اللوقت : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١١٨.

(١١٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٩٩.

الخاتمة

تعرضت هذه الدراسة لدور المتصوفة فى المغرب الأقصى فى عصرى المرابطين والموحدين، وقد تمخضت هذه الدراسة عن بعض النتائج.

أولاً : اتضح أن التأثير المشرقى كان له دور كبير فى ازدهار التصوف فى المغرب الأقصى فقد وصلت إلى متصوفيه مؤلفات المحاسبي وأبى طالب المكي، وأبى بكر المطوعى، وأبى حامد الغزالى، والقشبرى، وأثرت فيهم. كما رحل عدد من متصوفة المغرب الأقصى إلى المشرق فالتقوا مع صوفيته واطلعوا على مؤلفات التصوف هناك كما نقلوا إلى بلادهم مذهب الملامتية الذى ظهر فى نيسابور، وأخذ بهذا المذهب بعض متصوفة المغرب الأقصى.

ثانياً : أسهمت ظروف المغرب الأقصى الداخلية فى نمو حركة التصوف داخل المجتمع. فقد كان الشعور الدينى عميقاً لدى سكانه فى عصرى المرابطين والموحدين كما كان حكام الدولتين مثلاً لرعاياهم فى الزهد والتقشف وشدة التدبىن بالإضافة إلى انتشار الربط فى كل أرجاء المغرب الأقصى، وأخيراً قيام بعض صوفيته بوضع مؤلفات صوفية لتكون بين يدى إخوانهم فى الطريق.

ثالثاً : ارتفعت منزلة صوفية المغرب الأقصى عند الحكام بسبب مكانتهم الشعبية لكن بعض الصوفية تعرضوا للمضايقات من جانب الحكام بسبب سعى الفقهاء بهم.

رابعاً : قام المتصوفة بدور المعارضة حين تصدوا للسياسات الجائرة للحكام وعماهم. كما استغلوا علاقتهم الطيبة بالحكام وتشفعوا عندهم لأفراد الشعب .

خامساً : كان بعض المتصوفة سلبيين حين رفضوا تولى بعض المناصب الدينية التى عرضت عليهم فقد أثروا البعد ولم يسهموا فى شئون الحكم بتولى المناصب التى تتفق مع دينهم وثقافتهم.

سادساً : شارك أغلب المتصوفة بإيجابية فى أهم أحداث عصرهم الحربية مع المجاهدين فى معركتى الأرك، والعقاب ضد أعداء الإسلام فى الأندلس دفاعاً عن دينهم ووطنهم.

سابعاً : انتشر التصوف فى كل البيئات الجغرافية للمغرب الأقصى. كما انضم إلى طريق التصوف أفراد انتسبوا إلى معظم القبائل البربرية سواء أكانت بترية أم برنسية وأفراد من القبائل العربية التى استوطنت المغرب الأقصى.

ثامناً : شمل التصوف أفراداً من كل الطبقات الاجتماعية ومن مختلف الأعمار ومن الجنسين كما وجدت عائلات انضوت تحت طريق التصوف.

تاسعاً : أوضحت الدراسة الدور الاجتماعى للمتصوفة فى مجال الرعاية الاجتماعية والتكافل حين أسهموا فى التخفيف عن الشعب فى المجاعات التى ألمت بالمجتمع وحين سعوا فى مصالح الضعفاء.

عاشراً : كان للمتصوفة دور فى دفع مجتمعاتهم للتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة واتباع الفضيلة فقد كانوا القدوة لرعاياهم.

حادى عشر : تلقب المتصوفة بألقاب مأخوذة من مهن كانت لهم مثل القصاب، الخراز، والحلاج، والوثاق أى كاتب الوثائق، والقادر أى صانع القدر مما يؤكد أن المتصوفة عملوا فى مختلف الحرف، ومارسوا كل أوجه النشاط الاقتصادى فالعمل عندهم واجب شرعى والتدين الصحيح ألا تصرف العبادات المرء عن طلب الرزق، وبهذا المعنى كافحوا البطالة فى مجتمعاتهم.

ثاني عشر : احتل الدين أهمية كبيرة فى سلوك المتصوفة وتتجلى الروح الدينية عندهم فى الاهتمام ببناء المساجد التى احتلت مكانة كبيرة عند المسلمين لما لها من أهمية دينية، وأهمية ثقافية كبيرة كما تولوا القيام بالوظائف الخاصة بالمساجد.

ثالث عشر : العلم عند المتصوفة عبادة تقربهم من الله ولذلك ارتفعت مكانتهم فى جميع فروع العلم الإسلامى من قراءات وعقائد وحديث وفقه وتصوف.

رابع عشر : المذهب المالكى هو مذهب متصوفة المغرب الأقصى وهناك عدد كبير منهم كانوا فقهاء فى هذا المذهب وقاموا بتدريس الفقه المالكى الذى ساد فى بلاد المغرب.

خامس عشر : قام بعض متصوفة المغرب الأقصى بنظم الشعر فى معانى التصوف، وتعددت أغراضه وشملت اثبات مقامات الصوفية وإظهار الحب الإلهى. سادس عشر : أسهم المتصوفة فى النشاط التعليمى فى مجتمعاتهم، وشاركوا بجهـد كبير فى تعليم الصبيان فى المكاتب بالإضافة إلى دورهم فى تدريس العلم فى المساجد.

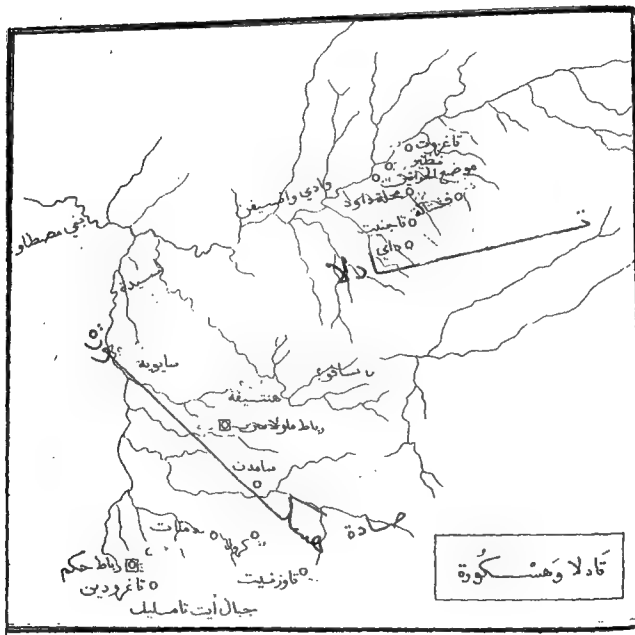
وقصارى القول فإننا نأمل أن تكون هذه الدراسة قد ألقت ضوءاً على الدور السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى لمتصوفة المغرب الأقصى فى وطنهم فى عصرى المرابطين والموحدين.

5

10

أحمد الترفيق : محقق كتاب التنويف إلى رجال النصف .

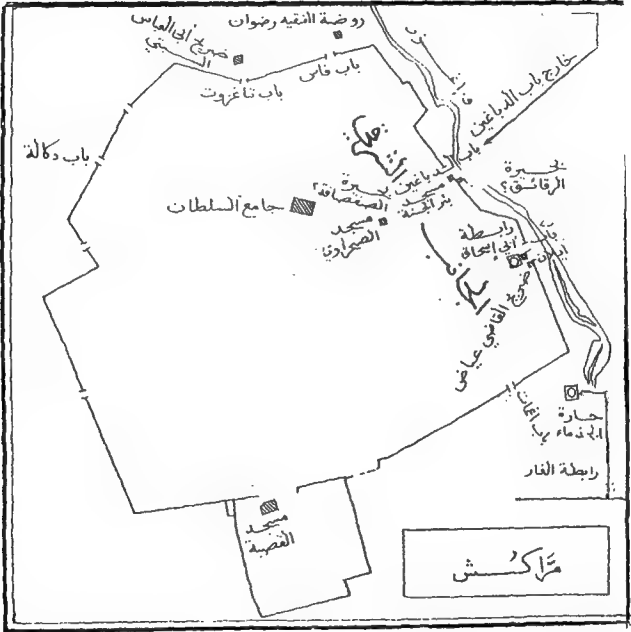




٥ المدن التي وردت في الكتاب .

رابطہ اور رابطہ .

أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوف إلى رجال التصوف .



○ المدن التي وردت في الكتاب .

□ رابط أو رابطة .

أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوف إلى رجال التصوف

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : مصادر التشريع الإسلامى :

القرآن الكريم .

البخارى : (أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم توفى ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

- صحيح البخارى، تقديم أحمد محمد شاكر، بيروت بدون تاريخ.

مسلم : (الإمام أبى الحسين مسلم النيسابورى توفى ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، بيروت بدون تاريخ.

ثانياً : المخطوطات :

الصومعى : (أبو العباس) .

- المعزى فى أخبار ومناقب الشيخ أبى يعزى، مخطوطة بدار الكتب المصرية، الرمز

تاريخ تيمور ١٢٤٩، ميكرو فيلم ٢٧٧٠٣٢.

العينى : (بدر الدين أبى محمود بن محمد ٧٦٢ - ٨٥٥هـ / ١٣٧٠ - ١٤٥١م).

- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوطة بدار الكتب المصرية الرمز تاريخ

١٥٨٤، الجزء العشرين، القسم الرابع، ميكرو فيلم ٣٥٨١٣.

ثالثاً : المصادر العربية المطبوعة :

ابن الآبار : (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).

- التكملة لكتاب الصلة، نشر وتحقيق السيد عزت العطار، القاهرة ١٩٥٦.

- المعجم فى أصحاب القاض الإمام أبى على الصدفى، نشر فرستشكو كودار،

مجريط ١٨٨٥.

- ابن الاثير : (عز الدين أبى الحسن بن أبى الكرم توفى ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .
- الكامل فى تاريخ بيروت ١٩٦٦ .
- الأدريسى : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) .
- نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ.
- ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن مالك توفى ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) .
- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومجديهم وفقهائهم وأدبائهم، القاهرة ١٩٥٥ .
- البكرى : (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .
- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر ١٨٥٧م .
- البيدق : (أبو بكر على الصنهاجى كان حيا فى القرن ٦هـ / ١٢م) .
- كتاب اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر ليفى بروفنسال، باريس ١٩٢٨ .
- القادى : (أبو يعقوب يوسف بن يحيى كان موجودا فى الربع الأول من القرن ٧هـ / ١٣م)
- التشوف إلى رجال التصوف واخبار أبى العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط ١٩٨٤ .
- التبكي : (أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن أفيت ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م) .
- نيل الإبتهاج بتطريز الدياج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الأولى، طرابلس ١٩٨٩ .

- ابن تومرت : (المهدى محمد ت ٥٢٤هـ / ١١٢٩م).
- كتاب اعز ما يطلب، نشر جولد تسهير، الجزائر ١٩٠٣م.
- ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد الأندلسي توفي ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
- جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣.
- الحميري : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٨٦٦هـ / ١٤٦٣م).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠.
- ابن الخطيب : (لسان الدين بن محمد ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، الجزء الثالث، نشر د. أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكثاني تحت عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء ١٩٦٤م.
- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد توفي ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
- المقدمة، بيروت ١٩٨٦م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٨٣م.
- ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين بن أحمد توفي ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
- وفيات الأعيان، تحقيق د. احسان عباس، بيروت ١٩٦٨.
- الذهبي : (محمد بن أحمد بن عباس توفي ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م).
- العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين الكويت، الكويت ١٩٦٣.
- ابن أبي زرع : (أبو الحسن بن عبد الله الفاسي توفي ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م).
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تعليق محمد الهاشمي الفيلاي، الرباط ١٩٣٦.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط ١٩٧٢.

- الزركشى : (أبو عبد الله محمد إبراهيم توفى بعد ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م) .
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور، تونس ١٩٦٦ .
- ابن سعيد : (أبو الحسن على بن موسى توفى ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .
- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٠م .
- السلوى : (أحمد بن خالد الناصرى) .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى، الدار البيضاء ١٩٥٤ .
- السهروردى : (أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله توفى ٦٣٢هـ / ١٢٣٦م) .
- عوارف المعارف، القاهرة ١٩٧٣ .
- السيوطى : (الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن توفى ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى القاهرة، ١٩٦٤ . ١٩٦٥ .
- ابن صاحب الصلاة : (عبد الملك محمد بن أحمد بن محمد توفى ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) .
- المن بالإمامة على المستضعفين، نشر عبد الهادى التازى، الطبعة الأولى ، بيروت، ١٩٦٤ .
- الصغدى : (صلاح الدين خليل بن أيبك ٧٦٤هـ / ١٣٣٢م) .
- الوافى بالوفيات ، الجزء الثامن ، نشر محمد يوسف نجم، فيسبادن ١٩٧١ .
- أبو طالب المكي : (محمد بن على بن عطية الخارثى توفى ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) .
- قوت القلوب ، تحقيق عبد المنعم الحفنى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١م .

- الضبي : (أحمد بن يحيى بن أحمد توفي ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) .
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، بحريط ١٨٨٤ .
- العباس بن إبراهيم : (كان حيا في القرن ١٣هـ / ١٩م) .
- الأعلام بمس حل مراكش واغتمات من الأعلام، الرباط ١٩٧٣ .
- ابن عربي : (محي الدين) .
- الفتوحات المكية الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢ القاهرة ١٩٧٢، ٣ القاهرة ١٩٧٤، ج ١ ، القاهرة ١٩٧٥، ج ١١ القاهرة ١٩٨٧، ج ١٣ القاهرة ١٩٩٠ .
- ابن العريف : (أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجي توفي ٥٣٦هـ / ١١٤١م) .
- محاسن المجالس، نشر اسين بلا سيوس، باريس ١٩٣٣ .
- ابن عذارى : (محمد بن عذارى المراكش ت نهاية القرن ٧هـ / ١٣م) .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب ، الجزء الرابع قطعة من تاريخ المرابطين تحقيق د. احسان عباس بيروت ١٩٦٧ .
- قسم خاص بالموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكسائي وآخرون، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٠ .
- العماد الحنبلي : (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد توفي ١٠٨٩هـ / ١٧٠١م) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ١٩٦٦ .
- الغبريني : (أحمد بن أحمد بن عبد الله توفي ٧١٤هـ / ١٣٢٦م) .
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نوهيضي، بيروت بلون تاريخ.

- الغزالي : (أبو حامد محمد بن محمد. توفي ٥٠٥هـ / ١١١٠م) .
- احياء علوم الدين ، القاهرة بدون تاريخ.
- ابن فرحون : (برهان الدين إبراهيم بن علي المالكي ت ٧٩٩هـ / ١٤١١م) .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٢.
- ابن القاضي : (أحمد بن محمد بن أبي العباس توفي ١٠٢٥هـ / ١٦٣٧م) .
- جنوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣.
- القشيري : (ابن القاسم عبد الكريم بن هوزان توفي ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م) .
- الرسالة القشيرية في علم التصوف ، بيروت ١٩٥٧.
- ابن القطان : (أبو الحسن علي بن محمد الكنامي الفاسي توفي ٦٢٨هـ / ١٢٧٠م) .
- نظم الحمان، تحقيق د. محمود علي مكي ، الرباط بدون تاريخ.
- ابن قنفذ القسطنطيني : (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي توفي ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) .
- انس الفقير وعز الحقير، نشر وتحقيق محمد. الفاسي وادولف فور، الرباط ١٩٦٥.
- الكاشاني : (عبد الرازق ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) .
- اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود ، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤.
- الكلاباذي : (أبو بكر محمد توفي ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) .
- التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق محمود امين التواوي الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٩٢.

الكثاني : (محمد بن جعفر بن ادريس) .

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، فاس
١٨٩٩م.

مارمول كرفجال : (ألف كتابه في النصف الثاني من القرن ١٠هـ / ١٦م) .

- كتاب افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي وآخرون ، الرباط ١٩٨٨،
١٩٨٩.

مجهول : (مؤلف أندلسي من أهل القرن ٨هـ / ١٤م) .

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه د. سهيل زكار، وعبد القادر
زمامة، الدار البيضاء ١٩٧٩.

مجهول : (توفي في القرن ٨هـ / ١٤م) .

- نبذة تاريخية من اخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى
بكتاب مفاخر البربر، نشر ليفي برونسفال ، الرباط ١٩٣٤.

مجهول :

- ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم، نشر عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي
العدد الثالث، السنة الأولى الرباط ١٩٦٤، والعددان الخامس والسادس، السنة
الثانية ، الرباط ١٩٦٥.

الحساسبي : (أبو عبد الله الحارث بن اسد البصري ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) .

- الرعاية لحقوق الله والقيام بها، راجعه وقدم له عبد الحليم محمود، وطه عبد
الباقي سرور، القاهرة بدون تاريخ.

المراكشي : (عبد الواحد بن علي ت ٦٦٩هـ / ١٢٧١م) .

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، حققه وعلق حواشيه، محمد سعيد العريان،
ومحمد العربي العلمي ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٩ .

أبو مدين : (شعيب بن حسين الأنصاري ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م) :

- أنس الوحيد ونزهة المرید شرح العلامة أحمد بن عبد القادر، القاهرة ١٢٩٧هـ .

ابن مريم : (أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد) .

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه محمد بن أبي شنب
الجزائري ١٩٠٨ .

المقري : (أحمد بن محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت
١٩٦٨ .

ابن المؤقت :

- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، فاس ١٩١٨ .

التويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٤٤، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة
١٩٨٣ .

الونشريسي : ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م .

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، نشر
وتحقيق محمد حجي وآخرون، بيروت ١٩٨١م .

رابعاً : المراجع العربية والمعربة :

أحمد شلبى (دكتور) :

- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ح ٤ ، الطبعة الخامسة ،
القاهرة ١٩٧٩ .

أحمد عبد المنعم عبد السلا :

- السمو الروحى فى الأدب الصوفى ، القاهرة ١٩٤٩ .

جميل محمد أبو العلا (دكتور) :

- التصوف الإسلامى نشأته وأطواره ، القاهرة ١٩٨٣ .

جورج قنوالى :

- التصوف ، مقال فى كتاب تراث الإسلام ، سلسلة عالم المعرفة العدد ١١ ، القسم
الثانى ، الكويت ١٩٧٨ .

جورج مارسىه :

- بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ترجمة محمود
عبد الصمد هيكى ، الإسكندرية ١٩٩١ .

جولده تسهير :

- العقيدة والشرعية فى الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، الطبعة
الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .

حسن أحمد محمود (دكتور) :

- قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧ .

حسين سيد عبد الله مراد (دكتور) :

- قبائل المصامدة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الموحدين بالمغرب، رسالة
دكتوراه غير منشورة بمعهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩١م.

زكى مبارك (دكتور) :

- التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٨.

الطيبلاوى محمود (دكتور) :

- التصوف فى تراث ابن تيمية، القاهرة ١٩٨٤.

عبد الحليم محمود :

- ابو مدين الغوث، القاهرة بدون تاريخ.

(عبد الحميد عبد المنعم (مذكور) :

- أبو طالب المكي ومنهجة الصوفى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار
العلوم القاهرة، ١٩٧٢.

عبد القادر محمود (دكتور) :

- الفلسفة الصوفية فى الإسلام، القاهرة ١٩٦٦.

عبد اللطيف محمد العبد (دكتور) :

- التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، القاهرة ١٩٨٦.

عمر فروخ :

- التصوف فى الإسلام ، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٤٧.

فؤاد سزكين :

- تاريخ التراث العربى، ترجمة محمود فهمى حجازى، المجلد الأول الجزء الرابع،

العقائد والتصوف، السعودية ١٩٨٣.

(ماسينيون لوزس) :

- الإسلام والتصوف، اعداد إبراهيم زكى خورشيد وآخرون، القاهرة ١٩٧٩م.

محمد بركات البيلى (دكتور) :

- الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى،

القاهرة ١٩٩٣.

محمد جلال شرف :

- خصائص الحياة الروحية فى مدرسة بغداد، الأسكندرية ١٩٧٧.

محمد الصادق عرجون :

- التصوف فى الإسلام منابعه وأطواره، القاهرة ١٩٦٧.

(محمد بن محمد مخلوف) :

- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، بيروت ١٩٣٠.

(محيى الدين عبد الحميد طاهر) :

- أبو مدين المغربى وحياته وتصوفه، رسالة دكتوراة غير منشورة قسم الفلسفة

كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٥.

أبو الوفا الغنىمى التفتازانى (دكتور) :

- مدخل إلى التصوف الإسلامى، القاهرة ١٩٨٣.

خامساً المراجع الأجنبية :

Bel, A :

- La Religion Musulmane en Berberie Tome I, Paris 1938.
- Sidi Bau Medyon et son Maître Ed daqqag a Fes, dans Melanges R. Basset, Tome I, Paris 1923.

Massignon ;

- Art Almuhsibi, in Encyclopdia of Islam.

Macdonald;

- Art Al Ghazli, in Ency of Islam.

Nichelson, R;

- The idea of Personabty in sufism, cambridge 1923.
- Art sufis in Encyclopdia of Religion and Ethics.

Oliver, R;

- Almorvids and Almohads, in the Cambridge history of Africe, Cambridge 1979.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن الجغرافية
- فهرس الطوائف والجماعات
- فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

- إبراهيم بن عبد الصمد، أبو إسحاق ٨٠
أحمد بن خالص الأنصارى ٧٦
أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجى، أبو العباس ١١٨، ١٠٠
أحمد بن عبد الرحمن الهوارى، أبو العباس ١٢٤، ٨٥
أحمد عبد العزيز السلاجلى، أبو العباس ٨٧
أحمد بن محمد بن عطاء الله، ابن العريف ١٢٢، ١١٧، ١١٢، ٥١، ٥٠، ٤٢، ٤١
١٢٣
أحمد بن محمد بن يوسف ٨٦
إسحاق بن سعيد الصنهاجى ٨٢
إسحاق بن محمد المزرجى ١٠٢، ٨٨
أبو إسحاق الميورقى ٨٠
إسحاق بن يحيى، من عمال الناصر الموحدى ٥٥
إسماعيل بن سعيد الصنهاجى ٨٢
إسماعيل بن وحماتن، أبو إبراهيم ٥٤، ٢١
ألفونسو الثامن ٦٢، ٦١، ٦٠
أبو الأمان بن مشو الرفروفى ٥٥، ٤٨
أم محمد السلامة ٨١
أيوب بن سعيد الصنهاجى، أبو شعيب ١٢٨، ٥٥، ٢٩، ٢٠
أيوب بن عبد الله القهرى: أبو الصير ١٢٧، ١٢٦، ١١٩، ٧٦، ٦٣
ابن برجان، أبو الحكم ٥٤، ٥٣

١١٤	أبو بكر بن العربي
٢٩، ٢٢	أبو بكر المطوعى
١٠١	بيريدن بن وييدن الايلانى، أبو ويعزان
٥١، ٤٨	تاشفين بن على
١٣	التستري
٧٩	تصولى بن وابو سكت المحاسبى
٥١	تنفيت البرصحي
١٢٠، ١١٠، ٨٠	تونارت بن واجزام، أبو ولجوط
٨١، ٤٠	تيعزان بنت حسين الهنتيقى
٤١	تيلجى بن موسى، أبو محمد
٩٨	جلداسن بن إسحاق، أبو محمد
١٣	الجنيد
١١٤، ٥٧، ٥٦	حجاج بن يوسف التجيبى، أبو يوسف
١٠٨، ١٠١، ٨٧	حسن بن على المطغرى، أبو على
٧٦	أبو الحسن بن محمد الأنصارى
٩٨	حميس بن ابي زرح الرغوفى، أبو محمد
١١٢، ٥١	الدقاق، أبو عبد الله
٢٨	أبو ذر الغفارى
١١٥	أبو الربيع التلمسانى
١٠١	أبو زكريا بن يحيى بن ميمون
٧٨	أبو زكريا بن يوغان

١٠٩	أبو زيد الإمام
٧٨	أبو زيد عبد الرحمن
١١٤	سالم بن سلامة السوسى، أبو على
٢٨	السرى السقطى
٧٥	أبو سهل القرشى
١١٦	الشاشى
٣٨	شاكر صاحب عقبة بن نافع
١٩، ٢٠، ٢٦، ٤١، ٤٢، ٤٣،	شعيب بن حسين الأنصارى، أبو مدين
٦٣، ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٢١،	
١٢٢، ١٢٦، ١٢٧.	
٧٨	صالح بن عمر، أبو محمد
٨٣، ٢٦	صالح بن محمد بن حرزهم
٨٧	صالح بن واندلوس، أبو محمد
٢٢، ٢١	أبو طالب المكى
١١٦.	الطرطوشى
١٢	الطوسى
١٢٥، ٨٧، ٤٩	أبو العباس السبتي
٢٨، ٤٧، ٨٨، ٩٣، ١٢٠	عبد الجليل بن ويحلان، أبو محمد
١٠٩	عبد الحليم بن إسماعيل الايلاتى، أبو محمد
١٢٧	عبد الحميد بن صالح
١١	عبد الخالق بن ياسين الدغوغى

٧٨	عبد السلام التونسي، أبو محمد
٨٢	عبد السلام بن أبي عبد الله، أبو محمد
١١٥	عبد السلام بن ومحال الجراوى
١١٣، ١٨	عبد العزيز التونسي، أبو محمد
٥٦	عبد العزيز بن محمد الباغاتى، أبو محمد
١٠٨	عبد الله بن أحمد، أبو محمد
١٢٨، ٨٨	أبو عبد الله التاودى المعلم
٩٩	عبد الله الجزولى
١١٠	عبد الله بن حريز، أبو محمد
١١٣	عبد الله بن زيرى الزناتى
٣٢	أبو عبد الله الشيعى
١٠٠	أبو عبد الله الصوفى
٧٨، ٧٥	عبد الله بن عبد الملك
١٢٢	عبد الله بن عثمان الصنهاجى
٥٣، ٢٧	عبد الله المليجى، أبو محمد
٢٨	عبد الله بن موسى، أبو محمد
٣٣	عبد الله بن ياسين
٥٥، ٣٨، ٣٤	عبد المؤمن بن على
١٠٨	عبد الواحد الأسود، أبو عميم
١٠٢، ٦١	عبد الواحد بن تومرت، أبو محمد
١٢٩، ١٢٦، ١١٨، ٨٩	عثمان بن عبد الله السلاجلى، أبو عمرو

- عثمان اليرصحي، أبو سعيد ١٠١
- عفان بن إسماعيل المظماطي، أبو واجاج ١١٧
- عقبة بن نافع ٣٨
- على بن أحمد اللخمي، ابن الاشبيلي ١١٨
- على بن أحمد بن يوسف، أبو الحسن ١١٦
- على بن إسماعيل بن محمد بن حرزهم ١٩، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٥٣، ٧٧، ٨٣،
١١٩، ١٢٠، ١٢٧
- على بن خلف بن محمد غالب ٧٥، ١٢١
- على بن زكريا الأسود ١٠١
- على الصنهاجي، أبو الحسن ٩٩
- على بن عبد الرحمن، أبو الحسن ٨٩
- على بن غالب، أبو الحسن ٦٣، ١١٩
- على بن محمد، ابن العطار ١١٩، ١٢٦
- أبو على منصور ٨٠
- على بن يوسف، أمير المسلمين ٢٤، ٢٥، ٣٣، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨،
٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٨٤
- عمر بن عمران السمائل، أبو على ١٢١
- عمر بن معاد الصنهاجي، أبو حفص ٨٤، ١٠٠
- عمر بن ميكسوط، أبو حفص ١٠٨
- عيسى بن سليمان الرفوفى، أبو موسى ١١٦
- الغزالي، أبو حامد ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٥١، ١١١

١٠	غوث بن مرة
٨١	فاطمة الأندلسية
٧٧	أبو الفضل بن أحمد بن محمد
١١٥، ٢٨	أبو الفضل الجوهري
٥١، ٥٠	القاضي بن أسود
٢٦، ١٢	القشيري
٢٨	الكرخي
١٢٠، ١٠٩	لقمان السايوي
١١٤	مالك بن مروان، أبو عبد الله
١٩، ١٨	المحاسبى
١١٤، ١١٣	محرز الصفاقسى
١٢٧، ٨٥	محمد بن إبراهيم المهدي
١٢٥، ١٠٩، ٧٦	محمد بن أحمد اللخمي
٥٤	محمد بن إسماعيل الهواري، أبو عبد الله
١١٣	أبو محمد أبو الأمان المسكوري
١٢٨	محمد بن الأمان، أبو عبد الله
٢٩، ٢٠	محمد البردعي الأسود، أبو عبد الله
٣٥، ٣٤	محمد بن تومرت
٨٢، ٢٩	محمد بن أبي جعفر، ابن امغار
١١٨	محمد بن الحسن الحضرمي، أبو بكر
٢٢	محمد بن سعدون بن علي بن بلال القيرواني

- ٧٦ محمد بن شعيب الجندامي
- ١١٤ محمد عبد الغفور بن يوسف الايلاني
- ٨٠، ٢٠ محمد بن عبد الله بن عثمان، أبو عبد الله
- ٢٤ محمد بن علي بن حمدين، أبو عبد الله
- ٧٧، ٥١ محمد بن عمر الأصم، أبو عبد الله
- ١١٥ محمد بن عيسى الهيلاني
- ٨٠، ٥٢ محمد بن موسى الازكاني، أبو عبد الله
- ١١٠ أبو محمد بن موسى الدغوشي
- ١٢١ محمد بن ياسين، أبو عبد الله
- ١٠٠ محمد بن يوسف الصنهاجي، أبو حفص
- ٥٧ مروان اللمتوني، أبو عبد الملك
- ٩٨ مع الله بن يحيى، أبو محمد
- ٨١، ٤٠ منية بنت ميمون
- ٥٧ موسى بن وحادير، أبو عمران
- ١٠٠ أبو موسى الدكالي
- ٨٧، ٢٩ موسى الصاريوني، أبو عمران
- ١٠٠ موسى بن يدراسن الخلاج، أبو عمران
- ٧٩ ميمون بن تاميمونت الأسود، أبو وكيل
- ١١٣ ميمون الوريكي، أبو وكيل
- ٦٣، ٦٢، ٥٥ الناصر الموحدى
- ١٢٦ واجاج بن زلوا اللمطي

- وزجيج بن ولون، أبو عيسى ٢٩
- ووران بن يكتيف، أبو ينور ٧٧
- وين السلامة بن جلداسن، أبو مهدى ٥٢
- يحيى بن إبراهيم بن عبد الله ٨٦
- أبو يحيى أبو بكر بن فاخر العبدري ٧٩
- أبو يحيى أبو بكر بن ملوك الصنهاجى ٤٩
- أبو يحيى أبو بكر الورياغلى ١٢٨
- يحيى بن صالح المسكورى، أبو زكريا ٢٠
- يحيى بن على الزواوى ١٢٥
- يحيى بن محمد الجراوى، أبو زكريا ١٠٨، ٤٨
- يحيى بن محمد بن عبد الرحمن، أبو زكريا ٨٤
- يحيى بن موسى المليجى، أبو زكريا ٩٩
- يحيى بن يسولال، أبو زكريا ٢١
- يخلف بن خزر الأوربى ١٢٧، ١٢١، ٦٠
- يرزجان بن محمد، أبو محمد ١٢١، ٢٩
- يسكر بن موسى، أبو محمد ١٢٧، ١٢١، ١١٥، ٨٦
- أبو يعزى يلقون ١٠٨، ٩٩، ٨٣، ٧٧، ٦٣
- يعقوب بن هارون الصدينى، أبو عبد الحليم ٧٧
- يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، المنصور ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٣٤
- يعلى، أبو جيل ١١٥، ١٠١
- يعلى بن مصلين الرجراجى ٣٨

١٢١	يغمور بن خالد، أبو علي
٩٨	يلاسيف الرجراجي، أبو عبد الله
١٢٦	يوسف بن أحمد الأنصاري
٣٣	يوسف بن تاشفين
٣٤	يوسف بن عبد المؤمن
١٠٨، ١٠٢، ٧٧، ٥٨	يوسف بن علي المؤذن، أبو يعقوب
٨٢	يوسف بن محمد بن أبي جعفر، أبو يعقوب
٢٥، ٢٤	يوسف بن محمد بن يوسف، ابن النحوي
١١٧، ١١٤، ٤٨	يوسف بن موسى الكلبي الضريير
١٠٩	يوسف بن يعقوب بن مؤمن المرادي

فهرس الأماكن الجغرافية

٢١	أدار
٦٢، ٣٦	أرزله
٦٠، ٥٩	الأرك
٨٢، ٨٠، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٥٥، ٣٧، ٢٩	أزمور
١٢٨، ١٠١، ١٠٠، ٨٤	
٣٧	أسفي
٧٣، ٦١	اشبيلية
٣٦	أصيلة

١٨، ٢٨، ٣٨، ٤٧، ٥٦، ٦٨، ٧٠، ٧٥،	أغمات
١١٣، ١١٤، ١١٥	
٢٣، ٤٧، ٥٤، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ١١٠، ١٢٤	أغمات وريكة
٦٢، ٦٣	إفريقية
٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧٢، ٧٣	الأندلس
٦٨، ٧١	أنسا
٣٧	انفا
١٠١، ١١٤	ايلان
٧٢	بجاية
٧٣	بلنسية
٤٨، ٥٥، ٥٨، ٦٧، ٧٠، ٩٨، ٩٩، ١٠٠،	تادلا
٨، ١٠، ١١٥، ١١٦	
٣٢، ٦٨، ٧١، ٨٧، ١١٤	تارودانت
٦٨، ٦٩، ٧٠، ١١٧	تامسنا
٧٢	تلمسان
٧٢	توزر
٧٢	تونس
٦٨، ٦٩، ٧١	جبل تينمل
٦٩	جبل دمنات
٦٩	جبل الريف
٦٢	جيان

٧٤، ٧٠، ٦٩، ٦٨	حاحه
٧٢	بنى حماد
٢٩	الحجاز
٣٠	خراسان
٦٨، ٤٩	دادس
١٠٨، ١٠٢، ٥٨	داى
٧١، ٦٩، ٦٨	درعة
١٠٨	بلد بنى دغوغ
٧١، ٦٩، ٦٨، ٥٢، ٥١، ٤٧، ٣٩، ٢٨	دكالة
١٢٨، ١١٠، ١٠٨، ١٠١، ٨١، ٧٩، ٧٥	
٣٧	رباط أسفى
٣٩	رباط أنيلور
٣٨	رباط أوجدام
٣٧	رباط أيسمين
٣٨	رباط تاسماطت
٣٧	رباط تامرنوت
٣٧	رباط تامنقاطت
٣٩	رباط تانوتن ظهير
٣٧	رباط تيطنقطر
٣٩	رباط حكم
٣٨	رابطه زرهون

١١٠، ٨٢، ٤١، ٤٠، ٣٨، ٣١، ٣٧	رباط شاكر
١١٠	رباط عقبة
٣٨	رباط الغار
٨١، ٤٠، ٣٩	رباط ملولاسن
٩٩، ٩٨، ٧١، ٦٨، ٢١	رجراجة
٣٨	ركونة
١٢٧، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٦٣، ٥٠	سببة
٧١، ٦٩، ٦٨، ٥١، ٣٩، ٢٨، ٢٤	سجلماصة
١١٥، ٩٩	
١١٧، ٧٣، ٤٨	سرقسطة
١٠٠، ٨٦، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٣٧، ٣٦	سلا
١٢٨	
١١١	السودان
١٢٦، ٨٧، ٧٤، ٧١، ٦٩، ٥١	السوس الأقصى
٢٩، ٢٦	الشام
٧٣	شروش
٧٣	شلب
٧٢	صفاقس
٥٢	صفرو
٧١	صودة
٦٢، ٦١	طليطلة

طنجة	٧٠ ، ٦٩ ، ٦٧
العراق	٣٠ ، ٢٩
العقاب	٦٣ ، ٦٢
غرناطة	٧٣
غمارة	٧٠ ، ٣٢
فلس	٥٧ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٤ ، ٣٨ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٠ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨
بلاد القبلة	٧١ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٤٩
قرطبة	٦١ ، ٥٣
قشتالة	٦٢ ، ٦٠
قصر كتامة	٨١ ، ٧٠ ، ٦٧
قلعة رباح	٦١
القيروان	٧٢
لبلة	٧٣
لمطة	٧١
مالى	١١١
المدينة المنورة	١١٦

٣٨، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٦	مراكش
٥٧، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٨٠	
٨١، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ١٠٢، ١٠٨	
١٠٩، ١١٧، ١١٨، ١١٣، ١٢٩	
٦٢	مرسية
٥٠	المرية
١١٥، ٢٩	مصر
١٠٨، ٧٠، ٦٧	مكناسة
٢٩، ٢٨، ٢٣	مكة
١١٠، ٧١، ٣٩	نفيس
٣٦	نكور
٦٧	نهر أبو رقرق
٦٧	نهر أم الربيع
٣٧	نهر تانسيفت
٣٠	نيسابور
١٢٠، ١٠٩، ١٠٢، ٧١، ٦٩، ٦٨	هسكورة
٦٧	وادي سيو
٣٦	وادي ما سين
١٠٨	وادي وانسيفن
٧٠	ورغة
٤٨	وهران

فهرس الطوائف والجماعات

١٧	الأدارة
٦٣،٦٢،٦٠،٥٩	الأسبان
١٧	الأشاعرة
٧٦	الانصار
٧٥	أورية
٣٨،٣٦،٣٢	برغواطة
٧٦	جذام
٧٤	جراوة
٧٤	جزولة
٣٨،٣٦،١٧	الخوارج
١٧	الدعوة العلوية
٥٤، ٤٧	رجراجة
٧٤	زناته
٣٢، ١٧	الشيعة
٣٨، ٣٢	الصفريه
١٠١، ١٠٠، ٨٤، ٨٢، ٨٠، ٧٤	صنهاجة
٧٤	صودة
٦٢	بنو غانية
١٧	الفاطميون
٧٥	فندلاوة

٧٦	فهر
٧٥	قريش
٧٦	لحم
٧٤	لطة
٧٧، ٧٦، ٤٣، ٣٦، ٣٥، ٣٣، ٣٢، ٣١، ١٧	المرايطون
١١١، ٩٢، ٧٨،	
١٢١، ١١٠، ٧٥، ٧٤، ٣٨	المصامدة
٧٤	مطفرة
٧٤	مطماطة
٣٥، ١٧	المعتزلة
٧٤	مغيلة
٣١، ٣٠	الملاطية
٣٨، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ١٧	الموحدون
٩٢، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٦٢، ٦١، ٦٠	
١١١	
١٠٢، ٨٨، ٧٥، ٧١، ٦٨	هزرجة
٨٠، ٧٥، ٧١	هزميرة
٧٤، ٤٠، ٣٩	هسكورة
٨٥، ٧٥	هواره

فهرس المحتويات

الصفحة	
٥	المقدمة
٧	تمهيد :
٩	١ - اشتقاق كلمة تصوف ومعناها.
١٢	٢ - تعريف التصوف.
١٥	الفصل الأول : عوامل انتشار التصوف فى المغرب الأقصى.
١٧	١ - العامل الخارجى "التأثير المشرقى".
٣١	٢ - العوامل الداخلية.
٤٥	الفصل الثانى : المتصوفة والحياة السياسية ودورهم فى الجهاد ضد الاسبان.
٤٧	١ - المتصوفة والسلطة السياسية.
٥٢	٢ - دور المتصوفة السياسى (المعارضة والشفاعة للرعية عند الحكام).
٥٦	٣ - العزوف عن المشاركة فى المناصب الدينية للدولة.
٥٨	٤ - المتصوفة والجهاد فى الأندلس ضد الاسبان.
٥٩	(أ) معركة الأرك (٥٩١هـ / ١١٩٤م).
٦٢	(ب) معركة العقاب (٦٠٩هـ / ١٢١٢م).
٦٥	الفصل الثالث : المتصوفة والمجتمع .
٦٧	١ - انتشار التصوف فى كل أنحاء المغرب الأقصى المختلفة.
٧٣	٢ - انتشار التصوف بين أفراد من معظم القبائل البربرية والعربية.
٧٨	٣ - الطبقات التى سلكت طريق التصوف.
٨١	٤ - النساء والتصوف.
٨٢	٥ - عائلات صوفية.
٨٣	٦ - الدور الاجتماعى للمتصوفة.
٨٩	٧ - المتصوفة والقيم الاجتماعية.

٩٢	٨ - مكانة الصوفية الاجتماعية .
٩٥	الفصل الرابع : المتصوفة والنشاط الاقتصادى.
٩٧	١ - المتصوفة والعمل.
٩٨	٢ - المتصوفة والعمل الزراعى والرعى.
١٠٠	٣ - المتصوفة والصيد وتربية النحل.
١٠٠	٤ - المتصوفة والعمل فى الحرف والصناعات.
١٠١	٥ - المتصوفة والعمل التجارى.
١٠٥	الفصل الخامس : المتصوفة والحياة الدينية والعلمية.
١٠٧	أولا : المتصوفة والحياة الدينية.
١٠٧	١ - الأثر الروحى للمتصوفة فى المجتمع.
١٠٧	٢ - بناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها.
١١٠	٣ - جهود دينية أخرى للمتصوفة.
١١١	ثانيا : المتصوفة والحياة العلمية .
١١٣	١ - الحرص على تعلم العلم.
١١٦	٢ - الدور العلمى للمتصوفة وأهم العلوم التى نبغوا فيها.
١٢٦	٣ - المتصوفة والتعليم.
١٣١	خاتمة
١٣٤	خرائط
١٣٩	المصادر والمراجع
١٥١	الفهارس :
١٥٣	• فهرس الأعلام
١٦١	• فهرس الأماكن الجغرافية
١٦٧	• فهرس الطوائف والجماعات
١٦٩	• فهرس الموضوعات

تم بحمد الله

رقم الإيداع ٩٤/١١٥٢٨

I.S.B.N. 977-00-8178-7

المطبعة الإسلامية الحديثة

٤٢ (أ) بن دار السعادة حلمية الزيتون

القاهرة - ت ٢٤٠٨٥٥٨

Bibliotheca Alexandrina



0212193